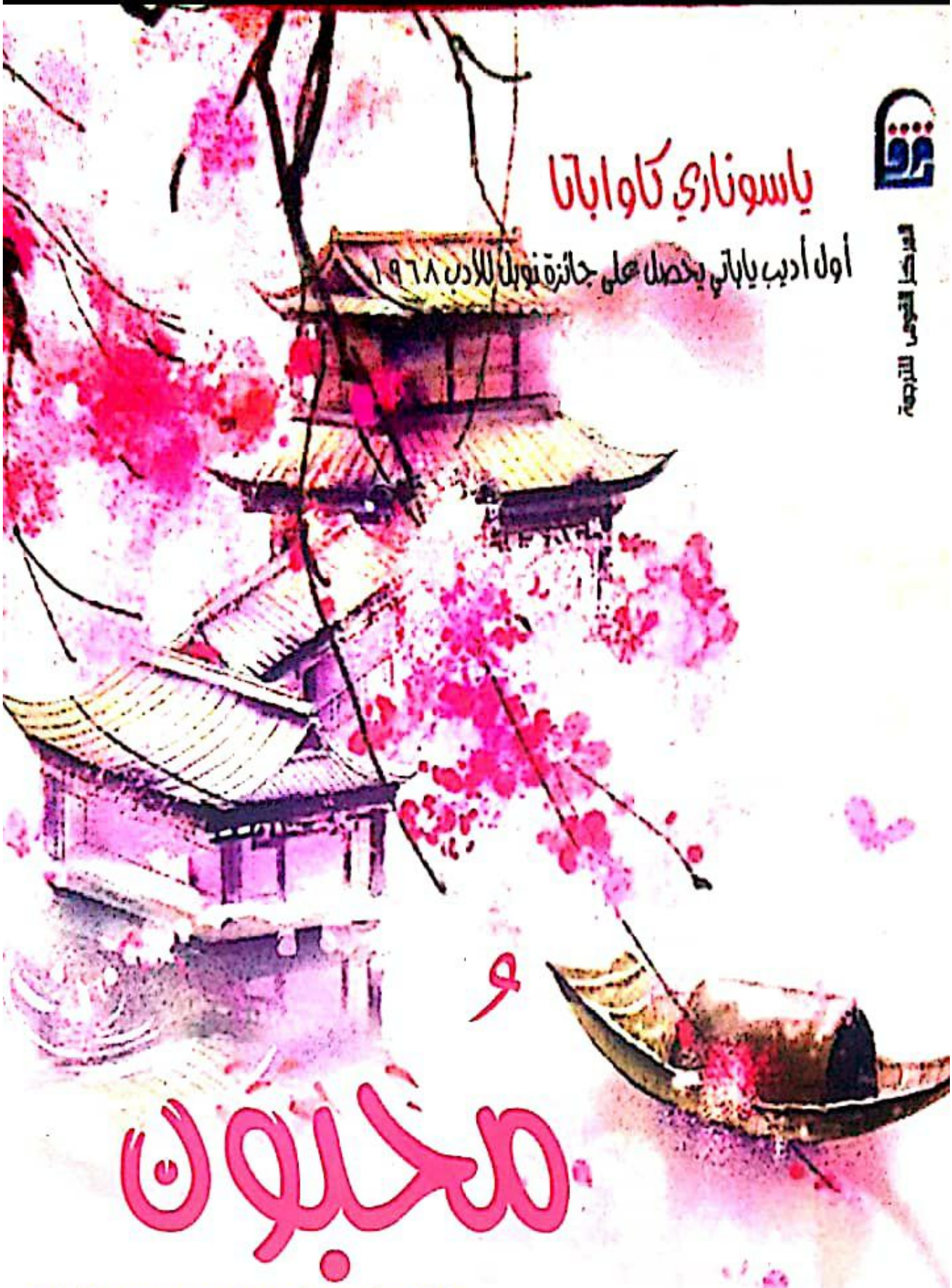

# ياسوناري كاواباتا

أول أديب ياباني يحصل على جائزة نوبل للأدب ١٩٦٨

المركز القومي للترجمة

# و

# مجنون

Telegram:@mbooks90

ترجمة: وليد فاروق إبراهيم

2488

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مُحبون

ياسوناري كاواباتا

أول أديب ياباني يحصل على جائزة نوبل للأدب ١٩٦٨

ترجمة: وليد فاروق إبراهيم

2018

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# المحتويات


١. حُب أمي الأول ..... 7
٢. حُلم امرأه ..... 41
٣. رسالة شامة ..... 57
٤. نرد المساء ..... 73
٥. غادة السنونو ..... 99
٦. انصياع واحتواء ..... 117
٧. طفل واحد ..... 137
٨. شخص يرحل ..... 157
٩. نهاية عام ..... 171




الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# "١"

# حُب أمي الأول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# (١)

أثناء مراسم الزواج إذا ما بدت مستحضرات التجميل البيضاء بصورة غير لائقة فسيكون ذلك مخجلا للعروس؛ لذلك يجب ألا تدعي "يوكيكو" لتقوم بأعمال المطبخ والغسيل بعد الآن.

هكذا نبه "ساياما" زوجته "توكيدا"

كان على امرأة مثل "توكيدا" أن تنتبه إلى مثل هذه الأمور من تلقاء نفسها. كما أن الوضع الخاص لعلاقة "ساياما" بـ "يوكيكو" - وهي ابنة حبيبته في الماضي - تجعله يتحرج في لفت نظر "توكيدا" إلى مثل هذه الأمور.

لكن "توكيدا" قالت دون أن يبدو على وجهها أية علامة من علامات الضجر:

" هذا صحيح ".

أومأت "توكيدا" ثم قالت:

" ربما يجب أن تذهب يوكيكو مرتين أو ثلاث على الأقل إلى مصفف الشعر لكي تعتاد على وضع مستحضرات التجميل وتتحمل بشرتها وضع طبقات المستحضر الأبيض الكثيف. "

Telegram:@mbooks90

ونادت "يوكيكو":

"يا "يوكيكو"، دعك من أعمال الطبخ والغسيل من اليوم. كثيرا ما أقرأ بالمجلات أنه لا يجوز أن تكون يدا العروس جافتين ومتشققتين يوم العرس..... ويجب أن تضعي على يديك الكريمات المرطبة وتلبسي القفازات قبل النوم. "

" فهمت "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هكذا أجابتها "يوكيكو" التي خرجت من المطبخ تمسح يديها، ثم جثت على ركبتيها عند أعتاب غرفة المعيشة، وهي تستمع إلى "توكيدا". لم تحمر وجناتها من الخجل لكنها ظلت تنظر إلى الأرض ونهضت لتعود إلى طهي الطعام.

كان ذلك مساء أول أمس ـــــ أما ظهر اليوم؛ فقد كانت "يوكيكو" بالطبع تعمل في المطبخ. وإذا ما استمر الأمر على هذه الحال؛ فلا شك أن "يوكيكو" ستذهب إلى قاعة مراسم الزواج بعد أن تُعد لهم طعام الإفطار صبيحة يوم زفافها. هكذا كان يفكر "ساياما"، وهو ينظر إليها وكانت "يوكيكو" تضع بعضا من الحساء في صحن صغير وتتذوقه فتنفرج أساريرها في حبور.

اقترب "ساياما" إليها:

" يا لك من فتاة لطيفة ".

وربت على كتفها في رفق وقال:

" ترى فيما تفكرين وأنت تقومين بالطهي؟ "

" وأنا أقوم بالطهي؟! ..... "

تلعثمت "يوكيكو" وجمدت في مكانها.

كانت "يوكيكو" تحب طهو الطعام وكانت تساعد "توكيدا"، منذ أن كانت في الصف الثالث بمدرسة البنات. لكن بعد أن تخرجت في العام الماضي أصبحت كل الأمور متروكة لها؛ حتى إنها الآن .....

" يا "يوكيكو" أخبريني رأيك عن هذا ".

فتطلب "توكيدا" رأيها عن مذاق الطعام.

اقتراب موعد زواج "يوكيكو" جعل "ساياما" يفكر - في أمر كان يشغله - كيف أصبح مذاق الطعام الذي تعده "يوكيكو" يشبه تماما مذاق ما تعده "توكيدا" من أطعمة؟ فهذا الأمر نادرا ما يحدث بهذا القدر من التشابه في المذاق حتى بين البنت



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأمها أو بين الأخت وأختها. كانت لدى "سـاياما" أختـان تكبرانـه في منـزل العائلـة بقريته. كلتاهما تعلمتا الطهي وتدربتا عليه قبل الزواج؛ لكنه تذكر أن أصغرهما كانـت تتدلل فيسخر منها الجميع ولم تتعلم شيئا.

كان "ساياما" عندما يعود إلى قريته من حين لآخر يشتاق إلى طعام تعده أمـه العجوز، لكنه رغم شوقه لطعامها لم يكن يستسيغه فلا يأكل. أما المذاق الذي يتميز بـه بيته الآن فهو لاشك مذاق ورثته "توكييدا" عن عائلتها.

جاءت "يوكيكو" إلى بيت "ساياما"، وهي في السادسة عشرة من عمرها؛ وقـد تشربت هذا المذاق تماما من "توكييدا"؛ وسوف تأخـذه معهـا إلى بيـت الزوجيـة. قـد يكون الأمر عجيبًا ومحيرًا..... لكن لا شك أن هنـاك الكثـير مـن الأمـور الغريبـة الأخـرى. تـرى هـل سيناسـب مـذاق طعـام "يوكيكـو" زوجهـا المنتظـر الـسيد "واكاسوغي"؟

شعر "ساياما" بالأسى لحال "يوكيكو". دخل غرفة المعيشة وصاح وهو ينظـر إلى أعلى ساعة الحائط:

"هيا؛ أسرعي. سوف أركب قطار الواحدة والنصف إلى "أوغاكي"."

"على الفور".

أسرعت "يوكيكو" بإحضار الغـداء؛ ونـادت الخادمـة التـي تقطـع الفحـم في الخلف. وجلست "يوكيكو" هي الأخرى معهما على المائدة وأخذت تقدم الطعام لهـما. فنظر "ساياما" إلى يدي "يوكيكو" فلم يجد بهما قدرا كبيرا من الجفاف أو التشقق. ربـما كان ذلك بسبب بشرتها البيضاء؛ لكنه لاشك أيضا بسبب عمرها الصغير الذي لم يتعد تسعة عشر عاما. كان عبير دافئ يفوح من عنقها البض النضر.

تبسم "ساياما" دون قصد.

رفعت "توكييدا" وجهها ....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ماذا؟"

"لا شيء؛ فقط رأيت "يوكيكو" تضع خاتمًا في إصبعها".

"وما في ذلك؟ أليس خاتم الخطبة؟! إنه هديتها؛ وأنا طلبت منها أن تضعه في إصبعها. ما الغريب في ذلك؟!"

توهجت "يوكيكو" بحُمرة الخجل وخلعت الخاتم؛ وبدت مرتعدة، وهي تخبئ الخاتم تحت وسادة الجلوس.

"آسف؛ آسف. لا غرابة في الأمر على الإطلاق ... ما عساي أن أقول..؟! أنا أضحك أحيانا في مواقف لا تستدعي الضحك. حتى عندما أشعر بالوحدة أجد نفسي وقد انهالت مني الضحكات".

امتلأ اعتذار سايامًا بالمبررات؛ لكنه زاد من تأزم "يوكيكو" التي امتلأ صدرها ضيقًا وحرجًا من وجودها في مجلسها. لم يكن حتى "سايامًا" يعلم سببًا لضحكه؛ لكن خجل "يوكيكو" الزائد كذلك لم يكن مبررًا.

كان "سايامًا" قد استبدل ملابسه مستعدًا للخروج، وهو يتناول طعامه فخرج على الفور. وكانت "يوكيكو" قد حملت حقيبته وسبقته إلى الباب.

"لا داعي"

ومد "سايامًا" يده؛ لكن "يوكيكو" نظرت إليه بوجه يغلب على ملامحه الحزن وهزت رأسها.....

"سوف أوصلك إلى محطة الحافلة."

اعتقد "سايامًا" أن لديها ما تقوله له. وكان "سايامًا" مسافرًا إلى مدينة "أتامي"(١) ليختار فندقًا تقضي فيه "يوكيكو" مع "واكاسوغي" رحلة الزواج. ورغم أن "سايامًا" تعمد أن يتمهل في المشي لكن "يوكيكو" لم تنطق بكلمة.

---

(١) مدينة تقع في محافظة "شيزوأوكا" وتشتهر بالينابيع الساخنة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" على أي شكل ترغبين أن يكون الفندق؟ "

سألها "سایاما" ذلك السؤال الذي كرره عليها من قبل أكثر من مرة.

" أيما تقرر فسيكون مناسبا يا عم ".

ظلت "يوكيكو" واقفة في صمت حتى وصلت الحافلة.

حتى بعد أن استقل "سایاما" الحافلة ظلت لفترة تنظر إليه وهي تودعه. ثم وضعت خطابا في صندوق البريد على جانب الطريق. لم تضع الخطاب بشكل عادي؛ بل بدا عليها التردد قليلا وهي تلقي به في حركة بطيئة من نافذة الحافلة؛ التفت "سایاما" وهو ينظر إلى "يوكيكو"، وقد أدارت ظهرها وكان يفكر في أنه ربما كان عليه أن ينتظر حتى تصبح الفتاة في الثانية أو الثالثة والعشرين ليزوجها.

على تلك الرسالة - التي ألقتها في صندوق البريد - كانت قد وضعت طابعي بريد من فئة أربعة سنتات؛ تُرى إلى أين وجهتها؟

## (٢)

كانت "توكيدا" محقة عندما قالت له إن حجز الفندق لرحلة الزواج أمر يستطيع أن يقوم به بواسطة الهاتف. لكن "سایاما" تعلل بأنه سوف يستثمر وجوده هناك في الإعداد لعمل مسرحي؛ واختار أن يسافر بنفسه.

منذ أن وعت؛ عانت "يوكيكو" الفقر وكذلك من زوج أمها. وقد استقرت حياتها بعض الشيء، بعد أن استضافها "سایاما" في بيته وإن كان وضعها في حقيقة الأمر به قدر من التطفل. فلو كان من يستضيفها ببيته هو أحد أقاربها ربما كان الأمر طبيعيًا لكن أمورًا استثنائية فرضت عليها هذا الوضع. وقد تكون في قرارة نفسها تشعر وكأنها سجينة بشكل ما.

"سایاما"؛ كان يعطي اهتماما كبيرا لما قد تفتح عينيها عليه من منظر في أول صباح لها بعد الزواج وسط مشاعر من الحرية والاستقلالية. يرغب في أن يجعلها تفتح



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عينيها على مشهد وكأنها خرجت من ثغرة إلى حقول واسعة؛ أو كأن السماء الغائمة قد كشفت عن إشراقة شاسعة. وفندق "أتامي" قد يكون مميزًا حيث له إطلالة على البحر واللسان الصخري؛ لكن تصميم الفندق وكذلك كثرة النزلاء من حديثي الزواج سوف يجعل "يوكيكو" - العروس الصغيرة الانطوائية - لا تنعم بالطمأنينة والارتياح في إقامتها. لكن في المقابل فإن السائد هذه الأيام من تجهيز غرف منعزلة عن مبنى الفنادق ليقيم بها النزلاء حديثو الزواج ربما يكون مبالغة.

في النهاية اختار "سایاما" فندقًا به أماكن النزلاء على طراز قديم يشبه الفيلات المستقلة المتفرقة في حديقة تتداخل فيها الأشجار مع التلال؛ وبها بحيرة وشلال أقرب لأن يكونا من إبداع الطبيعة يتميزان بالروعة والهدوء. كانت أماكن الإقامة تُشعر بالطمأنينة وكأنك في بيتك. وكان بها حمامات للاستحمام وتتميز كذلك بأنها على أطراف المدينة القريبة من الجبل.

نظر "سایاما" من الحديقة إلى داخل واحدة من تلك الفيلات فوجدها قائمة بعض الشيء لكنه استقر عليها وعاد على الفور إلى غرفته بمبنى الفندق الرئيسي. وعزم "سایاما" أن يقضي يومين في استرخاء تام فلم يأخذ معه في رحلته هذه كتابًا واحدًا؛ لكن بعد مرور ساعتين فقط وهو جالس في سكون تسرب إليه الندم على عدم إحضاره شيء معه.

" في مكان مثل هذا.....! يا له من ملل ! "

هكذا همس لنفسه.

وتنبه فجأة إلى أن معين أفكاره وخيالاته قد نضب؛ وشعر بأسى شديد. تُرى فيمَ كان مخدوعا ليتوهم بأنه يعيش حياة مملوءة بالمشاغل؟ لم يكن العمل في إستوديو التصوير بذلك القدر الكبير؛ ورغم أنه لم يتعد الأربعين بكثير فإن "سایاما" كاتب السيناريو كان متقاعدا؛ فلم يكن في حاجة لأن يذهب إلى العمل كل يوم. فكان



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُكلف السينارست الجدد بعمل السيناريو للروايات غير ذات الأهمية؛ أما هو فكان يتعاون مع من يرتاح في التعامل معهم من المخرجين ليكتب ما يحلو له. وبفضل ذلك استطاع أن يصنع لنفسه تاريخا حافلا ومكانة راسخة. لكنه عندما يعيد النظر الآن يجد نفسه- وقد أصبح كاتب سيناريو متقاعدا- لم يعد شخصا ذا نفع لأعمال إستوديوهات التصوير.

لقد اعتاد رؤية التحولات شديدة الحدة فيما يخص نجوم الأعمال السينمائية؛ لكن الأمر هذه المرة يتعلق به شخصيًا؛ و"سايا‌ما" يشعر بعدم الارتياح فقد وجد نفسه يشبه إلى حد كبير ممثلة شابة كانت تقوم بأدوار البطولة ثم دار بها الزمان وامتد بها العمر لتجد نفسها في سن تستوجب قيامها بدور السيدة العجوز. وكان "سايا‌ما" في حيرة من أمره؛ كان عليه إما أن يستعيد عافيته ككاتب للسيناريو؛ وإما أن ينصرف تماما عن أعمال الإستوديو ويعود إلى طريقه الأصلي وكتابة السناريوهات المسرحية.

بعد طول انقطاع؛ طلبت فرقة مسرحية كبيرة من "سايا‌ما" كتابة مسرحية يتم عرضها في فبراير من العام القادم؛ ووجد في هذا الطلب فرصة لتغيير مسار حياته. وكان ينوي أن يعمل على بناء أفكاره للمسرحية أثناء إقامته الهادئة في الفندق حيث ينابيع الماء الحارة. لكنه لم يجد ما يطفو إلى مخيلته سوى مشاهد كتبها للسينما تتراءى أمام عينيه متقطعة. كانت المشاهد بها العديد من الممثلات - لا يعرف على ما استقرت بهن الحياة الآن - يظهرن كأشباح من الماضي.

حاول كثيرا أن يستجمع تلك المشاهد؛ فلم يجد بها سوى حكايات سينمائية لا تخرج عن نطاق المألوف ولم يجد بها ما يجعلها خاصة به؛ فشعر بندم على أنه أهدر شبابه في مثل تلك الأعمال. لكنه إذا ما اعتزم التخلص من أفكار كاتب سيناريو إستديوهات التصوير شعر بسآمة من الفراغ ....

" وبَعْد! ألم يتبق إلا أن أستدعي زوجتي؟! "

ضحك "سايا‌ما" وهو يحلق لحيته في تأنٍ.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت "توكييدا" تصغر "ساياما" بأحد عشر عاما؛ لكنها رسخت مكانها وسط أسرتها الصغيرة. فقد وضعت كل آمالها في صغارها ولم يكن يشغلها الاهتمام بشبابها. أما "ساياما" فيرى أن ما يفعله هو تحقيق لإرادة السماء. فشخص مثله؛ قد يجد نفسه في واحدة من محطات حياته في موقف المفاضلة بين أطفاله وشبابه - من منطلق ضرورة خاصة بعمله - لابد أن ينزل به يومًا عقاب السماء.

"تاميكو" أم "يوكيكو" لا تزال في الثانية أو الثالثة والثلاثين. تذكرها "ساياما" وكانت منهكة القوى وكأن مفاصل جسدها كلها متهالكة.

كان قد قابل محبوبته بعد فراق دام أكثر من عشر سنوات؛ وفي تلك المرة قالت "تاميكو" .....

" إنني حقا سعيدة للنجاحات التي حققتها ".

قالتها بصدق من أعماق قلبها. قالتها بشكل مباشر وقاطع فلم يستطع "ساياما" أن ينفي. وأيضا.....

" دائما أتشرف بمشاهدة أعمالك. كثيرًا ما أصطحب أطفالي لمشاهدتها ".

قالت "تاميكو".

لم يكن "ساياما" يتوقع ذلك؛ لكن استوقفته كلمة "أعمالك" واستحى لسماعها. فتلك الأفلام - وهي في الأصل أعمال روائية لكتاب آخرين - قام "ساياما" بتحويلها إلى دراما سينمائية؛ ثم قام أحد المخرجين ببلورة الأداء التمثيلي بها؛ تُرى ما قدر دوره ككاتب سيناريو حتى يمكن أن يُطلق على هذه الأفلام أعمالاً له.؟!

حتى في مرحلة إعداد السيناريو كانت هناك توجيهات وتوصيات من عدة جهات؛ ولم تكن لديه الحرية الكافية. لذلك كان قولها "أعمالك" وكأنها لـ "ساياما"



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحده؛ قولا له وقع مملوء بأصداء السخرية على مسامعه. لكن لم يكن هناك مجال ليتحاور فيه عن مدى الظلم الذي يقع على كاتب السيناريو فحاول "سايامًا" أن يغير موضوع الحديث فسأل "تاميكو" عن أحوال طفلتها. _____ وطفلتها هذه هي "يوكيكو" التي يُعد لأمور زواجها.

قبل ستة أعوام؛ زوجته "توكييدا" تصطحب أطفالها عائدة من التسوق إلى البيت؛ فوجدت امرأة متعلقة بالباب، وهي تتطلع داخل المنزل. قررت "توكييدا" أن تدخل من باب المطبخ الخلفي لكن عندما رأتها المرأة هربت على الفور وكأنها قطة سرقت قطعة من طعام. لكن المرأة لم تتجاوز الممر الكبير حتى ارتطمت واقعة على جدران أحد المنازل فتشبثت به حتى لا تسقط على الأرض. وفزعت "توكييدا" إلى "سايامًا" لتخبره بما حدث.

" يا زوجي ! هل تأتي لترى ما بالخارج؟ "

اعتقد "سايامًا" أنها قد تكون امرأة ممن يعملن بالإستوديو فنهض وذهب ليرى؛ لكنه لم يجد أحدًا بالخارج. فلما سأل "توكييدا" عن شكل المرأة.....

" لم يكن شكلها مريبًا ولكن ... كانت تبدو كأنها مريضة ".

" مريضة .....؟ "

وبينما يتحدثان عن هذا الأمر سمعا صوت امرأة عند باب البيت.

نظرت "توكييدا" للحظات إلى "سايامًا" ثم خرجت لترى من بالخارج. ثم عادت وقد تغيرت تعبيرات وجهها...

"يا زوجي ! إنها السيدة "تاميكو".

" "تاميكو"؟ "

نهض "سايامًا" واقفًا من المفاجأة؛ فقالت "توكييدا" وكأنها تطرحه أرضًا ...

" وهل ستقابلها ....؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ارتعد "سایاما" لاحتداد "توکییدا" .....

" ماذا؟ لماذا.....؟ "

" یا لك من متخاذل ".

ضحك "سایاما" وبینما هو یتجه إلى باب المنزل؛ نادت "توکییدا" طفلیها بصوت عال ثم اتجهت إلى الباب الخلفي وخرجت. اندهش "سایاما"؛ ولكنه رغم شعوره بالأسف تجاه زوجته "توکییدا" فإنه امتعض لتصرفها. لكن نهوضه دون تردد لیذهب إلى الباب ویقابل محبوبته السابقة التي جاءت دون موعد إلى بیته؛ هذا أمر بلا شك به الكثیر من الوقاحة. فهذا الأمر بالنسبة لزوجته الحالیة ما هو إلا مهانة لا تحتمل. لكن "سایاما" لم یكن یشغله من أمرها سوى معرفة سبب زیارتها - وربما ظن أنها أتت لتطلب بعض المال - ولم یخطر ببالـه أي مشاعر تتعلق بحبة الماضي. وقد تكون "تامیكو" فطنت لتلك الجلبة التي أثارتها "توکییدا"؛ فشعر "سایاما" بالخزي من أجل زوجته وود لو استطاع أن یستعید لها الكبریاء. واجتهد في تصنع الهدوء ومَرَّرَ "تامیكو" إلى غرفة المكتب.

" لا شك أن زوجتك ترى أنني امرأة وقحة ".

كررت "تامیكو" تلك الكلمات ....

" لو لم ترني زوجتك لعدت الیوم أیضًا من حیث أتیت. لقد أتیت إلى باب بیتك من قبل أكثر من مرة لكنني عدت دون أن أطرق الباب لشعوري بمدى وقاحة أن أفعل ذلك ".

كانت "تامیكو" في حالة من الهوان لدرجة یُرثى لها. وكانت تتوق إلى "سایاما". ولم یكن ذلك بكلمات تقولها فقط بل كان سلوكها وتصرفها یفصحان عن



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شوقها إليه. أما "سایاما" فكان يشعر بأنه هو من أساء إلى "تاميكو"؛ بل كان يشعر بالخزي من نفسه. وسألها عن أحوالها....

فحكت له "تاميكو" بالتفصيل، منذ أن تزوجت للمرة الأولى وأصيب زوجها بمرض السل فعادت معه إلى قريته ومرضته لأربع سنوات قبل أن يموت ويتركها؛ ثم رحلت مع طفلتها الوحيدة لتتزوج من زوجها الحالي "نيجيشي" منذ ما يقرب من خمس سنوات. كانت تتحدث وكأنها تشكي أحوالها لشخص حميم تعرفه .....

"لقد عانيت كثيرًا وهذا عاقبة ما فعلت... لقد أهدرت السعادة من يدي - في تلك المرة - فلا مفر من هذا المصير. عندما يشتد بي الألم أتذكرك؛ فتزداد مشاعر الحزن بداخلي. أعلم أنها أنانيتي ".

كانت ترى فيما يحدث لها جزاءً على رفضها "سایاما"؛ وأنها لو تزوجته فربما كانت تنعم بالسعادة الآن. وقالت له إن "نيجيشي" كان مهندس تعدين؛ تنقل كثيرًا بشبه الجزيرة الكورية. لكن حتى بعد عودته لم تفارقه روح المقامرة فإذا ما واتاه الحظ وحصل على عمل بأحد المناجم تدفعه تطلعاته إلى الرحيل ويبقى لفترات طويلة دون أن يعرف له أحد مأوى؛ وتظل "تاميكو" تجوب الجبال بحثًا عنه. وإذا ما استقر بهم الحال نادرًا لبعض الوقت في طوكيو كان يدفع "تاميكو" للعمل بالحانات لكسب المال؛ وعندما يتوفر معه بعض المال يخرج على الفور ليجول في الأرض مرة أخرى.

ضمر جسد "تاميكو" لمعاناتها التي دامت لسنوات طوال. حتى أخبرها الطبيب بأن قلبها وكليتيها في حالة أسوأ من أن تتحمل قيامها بأي عمل. وعندما رأتها "توكييدا" منذ قليل فحاولت الهرب غشي عليها ولم تعد ترى أمامها فسقطت. وتقول إنها -أحيانًا ما تسقط مغشيًا عليها وهي تظن أنها على مشارف الموت ولن تفيق من غشيتها. كانت "تاميكو" شاحبة اللون؛ يداها تميل إلى الزرقة وعظامها بارزة؛ وقد خف شعر رأسها. وقالت إنها قد عزمت هذه المرة أن تنفصل عن زوجها " نيجيشي ". وبخصوص هذا الأمر؛ طلبت منه أن يُعيرها خمسمائة ين لتفتتح مقهى من أجل قوتها

Telegram:@mbooks90



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وابنتها. لكن هل تكفي الخمسمائة ين لفتح مقهى مناسب؟ وبين كل تلك المقاهي - التي تسري كالأمراض المعدية - كيف لها أن تواصل عملها وتنافس؛ وفي حالتها الصحية هذه لن يمكنها أن تتحمل هذا العمل؟!

لكن "تاميكو" قالت .....

" هناك أحد جيراني لديه مقهى مناسب. وهذا الجار سوف يعود إلى بلده، وقال لي إن كانت لدي الرغبة في إدارة المقهى فسوف يتركها لي بمقابل بسيط. وقال إنه سيترك لي كل شيء ويمكنني أن أبدأ العمل من الغد. كما أن ابنتي قد بغضت أباها؛ وتتطلع إلى بدء العمل بالمقهى ".

" وكم عمرها؟ "

" أصبحت في الثالثة عشرة. وسوف تنتهي من المدرسة في القريب وتساعدني بالمقهى ".

وظلت "تاميكو" تحدثه عن المقهى وشكله ومكانه في بهجة واضحة.

"سایاما" لم يُجب طلبها باقتراض الخمسمائة ين لعدم امتلاكه لها. لن يكون من الصعب عليه أن يتدبر أمر المال لكنه لم يكن يملك ما يستطيع أن يتصرف به دون أن يؤثر عليه. أما "تاميكو" التي تعتقد بنجاح "سایاما" فلم يكن بمقدورها أن تصدق عدم امتلاكه المال.

ثبط عزمها وراجعت نفسها؛ فشعرت بأنه لم يكن يحق لها أن تأتي لتقترض منه مالاً؛ فقالت إنها خجلى وانهارت باكية. وكانت تبدو وقد خارت قواها تمامًا. لم يكن بينهما علاقة جسدية في الماضي فلم يكن ما بينهما يبيح لها أن تلح في اقتراض المال منه.

عاد "سایاما" ليسألها عن ابنتها؛ عسى أن يجد في ابنتها ظلالا من حبيبة الماضي.....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وهل تشبهك؟ "

" لا.... لا تشبهني إطلاقا. فلها عينان واسعتان؛ ويستحسن الجميع وجهها. ليتني أحضرتها معي ".

" ليتك فعلت هذا ".

" كنت أحدث "يوكيكو" عنك كثيرًا ونحن نشاهد أفلامك وهي تعرفك جيدًا ".

بدت غصة على ملامح وجه "سایاما"

لم تعد "توكيدا" بعد. ولم يكن "سایاما" قلقًا بشأنها لأنها اصطحبت الأطفال. ظلت تتحدث وهي تبكي عن ألم الحاضر وحنين الماضي؛ وفجأة.....

" يا لك من رجل جاد يا سيد "سایاما ".....

قالتها وهي تستشعر كل ذكريات الماضي.

لم يدرك "سایاما" مغزى قولها. ترى هل أتت بعد انفصالها عن "نيجيشي" وفي سريرتها أن تدير المقهى وهي في كنف "سایاما"؛ أم كان فقط مجيئها لشعورها بحنين إلى شخص "سایاما"؟!

بقيت معه "تاميكو" لساعتين.

وعادت "توكيدا" عند حلول الظلام. وعندما نظرت إلى وجه "سایاما" ذهبت عنها الريبة؛ ولم تعبأ كثيرًا بأمر "تاميكو". قال لها إن الأمر كان بخصوص اقتراض المال ثم حدثها عن "تاميكو" وحياتها.

" لكن من أين لها ذلك التبجح لتأتي وتطلب مالاً ؟! وهل تنوي أن تعيرها؟ "

" ومن أين لي أن أعطيها ما لا أملكه؟!.... أين كنت حتى الآن؟ "

" اصطحبت الأطفال إلى الحديقة ليلعبوا ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣)

حتى في الفندق ذي الينابيع الحارة حيث ستكون رحلة زواج "يوكيكو" ....

" يا لك من رجل جاد يا سيد "ساياما" .....

تذكر "ساياما" كلمات أم "يوكيكو". ربما كان لقولها أصداء من السخرية المستترة لشخصه. أو ربما كانت تنعي رعونة حظها العسر مع الرجال. لكن المؤكد أن هذا الجانب من شخصية "ساياما" وإنسانية "توكييدا" المفرطة هما ما جعلهما يقفان للمعاونة بجنازة "تاميكو" وهما أيضا ما جعلهما يتحملان مسؤولية زواج ابنتها "يوكيكو".

......... بعد شهرين من زيارة "تاميكو" في ذات يوم عاد "ساياما" من إستوديو التصوير.....

" لقد جاءت "تاميكو" اليوم مرة أخرى ".

قالت له "توكييدا".

" وكانت معها ابنتها .... "

" حقًا. ابنتها معها...؟ وكيف هي ابنتها؟ "

" إنها طفلة لطيفة ورقيقة. إنها أجمل من أمها. ـــــ سيكون الأمر مثيرا لو كانت الفتاة ابنتك ".

وإذا بها تداعبه بقولها؛ فكان هدوء "توكييدا" أمرا أدهش "ساياما".

" إذًا؛ هل دخلت البيت؟ "

" نعم. وانصرفت منذ وقت قليل؛ فتحدثنا عن أمور عديدة. ما إن سمعت منها حتى شعرت بمدى بؤسها الشديد. لم يكن لحديثها نهاية ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يعد هناك أية ضغينه في قلب "توكييدا" تجاه "تاميكو"؛ وأصبحت تتعاطف معها. ويبدو أنها تشعر برضى لهذا التعاطف. حتى وإن لم يكن بالفعل لدى "تاميكو" القدرة على تهديد أسرة "توكييدا"؛ إلا أن حديثهما معا كامرأتين وذوبان الجليد بينهما كان تطورا خارج كل توقعات "سایاما". قالت "توكييدا" وعلى وجهها علامات توحي بأنها تعلم ما لا يعلمه "سایاما" عن حياة "تاميكو" .....

" لقد قالت إنها انفصلت عن مهندس التعدين ذلك الذي يُدعى "نيجيشي".

" انفصلت؟ وهل بدأت عمل المقهى؟ "

" لم يحدث ذلك ".

قالت "توكييدا" إنها امرأة فطنة تفكر جيدا في مستقبل ابنتها الوحيدة.

لم تأت "تاميكو" بعد تلك المرة إلى البيت؛ لكن بعد ما يقرب من ستة أشهر قابلها "سایاما" مصادفة في "غينزا"[٢]. وكانت "تاميكو" تشتاق إليه فتبعته. وعندما أخبرها بأن زوجته مدحت ابنتها أشرق وجه "تاميكو" وابتسمت وقالت له أريدك أيضا أن ترى ابنتي وكانت على الفور تبحث عن تاكسي. فقال لها " الآن؟ على الفور؟ " وكانت تشده شدًا وهو على غير رغبة .... وهي تقول له:

" لا تشغل بالك أبدًا؛ إنها بمفردها ".

في منزل بالشوارع الخلفية لمنطقة "أزابو"[٣] كانت "يوكيكو" تجلس إلى مكتب متواضع في لباس يشبه ملابس البحارة وتذاكر دروسها. تُرى هل هي بمدرسة

---

(٢) أحد المناطق الشهيرة في العاصمة طوكيو وتشتهر بالمتاجر الشهيرة والمركات العالمية، حيث تعد منطقة التسوق للطبقة الراقية.

(٣) منطقة تُعد من مناطق السكن الراقي في وسط العاصمة طوكيو.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البنات؟ ونـادت "تـاميكو" عليهـا لتحيـي الـضيف؛ فوقفـت "يوكيكـو" وأتـت إلى الضيف تحييه بانحناءة تناسب فتـاة في عمرهـا؛ ثـم سـكتت وهـي تنظر إلى الأرض. لم تكن تحتاج إلى أن تعرفها أمها بالضيف؛ ويبدو من سلوكها أنها عرفته.

" يمكنك الآن أن تعودي للمذاكرة "

قال "ساياما" للفتاة ذلك؛ فابتسمت ابتسامة عريضة وأومأت برأسها لكنها بقت كما هي جالسة أمام "ساياما".

ذلك البيت الذي يكاد يكون بلا أثاث أو مفروشات كان مرتبًا بدرجة كبيرة حتى إنه يُشعر بالبرودة. ظن "ساياما" أنه قد يكـون هنـاك رجـل مـا أعانها في أمور الانتقال إلى هذا البيت. وبدت له "تاميكو" في حالة صحية أفضل قليلا.

" في تلك الفترة كنت لا أزال طفلة بعـد ولا أفقـه شـيئا عـلى الإطـلاق. كنت وكأنني مفتونة بكل ما هو حولي. ـــــ وبعدها بدأت أدرك شيئا فشيئا؛ فلم أتوقف عن الاعتذار لك في قلبي يومًا. لكني لم أتوقع يومًا أن تـسمح لي بمقابلتـك والحديث إليك هكذا. "

هكذا بدأت "تاميكو" بالحديث عن أمور ولت.

شعر "ساياما" بالإحراج لوجود ابنتها.

فنظرت "تاميكو" إلى "يوكيكو" وهي تقول ....

" لا بأس؛ هذه الفتاة تعلم كل شيء. وهي تتساءل دائمًا عما إذا كان لها أن تطمع في حنان زوجة السيد "ساياما"! "

تُرى ما الذي سمعته وعلمته "يوكيكو" عن أول من أحبته أمها؟!

" إن "يوكيكو" فتاة لـيس لهـا مـن يعتنـي بأمورهـا؛ فهـل لي أن أطلـب منك الاعتناء بها إذا ما نزلت بي نازلة؟ وأظنني قد أوفيت لها الحديث عنك ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان لقول "تاميكو" أصداء من الغموض. فهمها "سـاياما" بمعناها البريء على أنها ثقة في شخصه. لكن قولها هذا إذا ما وضع جنبا إلى جنب مع ريبته في نواياها الخفية في أن تكون في كنف "سايامـا" وتدير المقهى؛ يمكن أن يكـون مقـصد قولها أن خذ ابنتي حبيبة لك. فامرأة مثل "تاميكو" - بخلاف زواجها مرتين لابـد أن كـان لها رجل أو كانت عشيقة لأحد الرجال في يوم مـا - ربـما وجـدت هـذه الحـال سـتكون أفضل لابنتها التي قد ينتظرها مصير من الـضياع. كـان "سـاياما" رجـلاً في منتـصف العمر. فلم يكن لديه آذان الشباب النقية. فقد تعلم مـن كثـير مـن النـساء عـلى مـدار حياته أن علاقة بين رجل وامرأة ليس للجسد بها مكان لن تكـون سـوى لهـو أطفـال. وبالطبع كانت "تاميكو" هي أول من علمه هذا.

"تاميكو" في فترة خطبتها لـ "سايامـا" - كانت - بالتأكيد كما وصفت نفـسها - مفتونة بكل ما حولها. لكن "سايامـا" - وكان لا يزال غِرًّا - لم يستطع أن يجـد تفـسيرا لزواجها دون أن تتردد من رجل آخر؛ حتى توصل بعد تفكـير إلى أن الـسبب كـان في عدم سلبه جسدها. ربما يكون ذلك أمرًا عاديًا؛ لكنه كان بالنسبة له - في تلك الفترة - واقعًا صادمًا. وكأنها رقعة أحاطهـا "سـاياما" بهالـة مـن القدسـية؛ ثـم جـاء غريـب واخترق تلك القدسية ووطأها بنعليه. ولم يكن بمقدور "سايامـا" سوى أن يترقب من بعيد المصير المبهم لجسد الفتاة.

حتى بعد أن تركته وارتمت "تاميكو" في أحـضان رجـل آخـر؛ ظـل "سـاياما" يبحث عنها حتى وصل إلى الفندق الذي تقيم به، فقالت له في تبجح:

" لم أعد أصلح لك. فها أنا كما تراني ".

" ما أرى من شيء تغير. أنا فقط أراك هنا أمامي".

وكان "سايامـا" صادقًا فيما يقول. لكن "تاميكو" انتفضت من جلـستها وكأنهـا تدفع "سايامـا" عنها؛ وبدأت تنظف الغرفـة. ونـدم "سـاياما" بعـدها أنـه لم يأخـذها



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولو بالقوة لتعود معه في ذلك اليوم. فلم تكن المسألة فيما كان أيهما يحب "تاميكو" أكثر؛ ولم تكن أيضا أيهما أقدر على إسعادها. بل كان الحسم من حظ من هو أشد قسوة. وبعد أن أدارت "تاميكو" ظهرها له؛ تقبل الأمر على أنه جراء خطيئته هو، ولم يُحمِّل طبيعة المرأة كل الإثم.

كانت "تاميكو" هي تلك الفتاة التي أتت لتؤدي دور البديل لإحدى الممثلات في مسرحية طلابية لجماعة فنون مسرحية أنشأها "ساياما" مع مجموعة من أصدقائه. وبمرور الوقت صرح لها "ساياما" برغبته في الزواج منها؛ فقبلت دون تردد. بعد أن أنهى "ساياما" دراسته التحق بالعمل في إستوديو التصوير، وكنوع جديد من الفنون يختلف عن العمل المسرحي؛ وضع "ساياما" حماسته ورؤيته المتطلعة في العمل السينمائي راجيًا أن تثمر وتزهر مجهوداته حول محبوبته "تاميكو". وساعد "تاميكو" على أن تلتحق بالعمل في الإستوديو. وظن أن زواجه منها في هذه المرحلة قد يقضي على موهبتها؛ كما أنه في مرحلة شبابه لم يستطع أن يتغافل عن علاقته بها وهو يطلب من أحد منح فرصة لامرأة قد استحوذ عليها لنفسه. لذلك قرر "ساياما" أن يستمتع بحلم خطبتها المبهج - على الأقل - إلى أن تحصل على دور متميز في أحد الأعمال. أما "تاميكو"؛ فقد كان يتردد على الإستوديو صحفي بإحدى الصحف - التي لا تتجاوز أوراقها النفايات - أغواها بأنه سوف يصنع لها نجومية إعلامية وما إلى ذلك من معسول القول فأخذها معه. ونتيجة لذلك ولدت "تاميكو" ابنتها "يوكيكو"؛ ثم ذهبت مع الرجل إلى القرية لتمرضه حتى مات.

في تلك الفترة التي فقد "ساياما" فيها "تاميكو"؛ كان كلما ركب قطارًا أو ما شابه؛ ولمست يده "كيمونو"(٤) ترتديه فتاة في السابعة أو الثامنة عشرة في مثل عمر "تاميكو" لا يستطيع أن يمنع دمعة تذرف من عينيه. كان إحساسه بأن "تاميكو" قد تعود إليه وهو غائب عن البيت يمنعه من الخروج. والآن وبعد أكثر من عشر سنوات؛ ها هي "تاميكو" تجلس أمام عينيه. لكنه لم يعد ذلك الرجل الذي يبتغي أن يتذوق امرأة أكل الدهر عليها وشرب.

---

(٤) الرداء الياباني التقليدي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن كانت "تاميكو" صادقة فيما قالت بأنها كانت دائمًا ما تتذكر "سايايما"، وأنها واثقة الاعتذار له في قلبها وأنها طالما حدثت ابنتها عنه، فيرى أنها الذي حان ذلك الطيب عينا أن "تاميكو" سقطت في الحضيض، و"سايايما" قد حقق "نجاحًا" - على حد قول "تاميكو" - فإن هذا الأمر وارد. أن نتذكر "تاميكو" في أحزانها وفي آلامها "سايايما" ونظن أن السعادة كانت تنتظرها إذا ما تزوجته، فلا بد أن تجد في حياته الذي يطاردها دائمًا سطورًا تنعي بها حظها التعيس. إن كان الأمر كذلك حتى وإن كانت له "تاميكو" مسامحة فالآن وفي جميع الأحوال "تاميكو" هي من حافظت على صباه أما "سايايما" فكانت تعتليه الدهشة أن حبه اليافع لم يكن قد مات.

بذرة حب غُرست في أرضها ونسيها الجميع؛ ها هي قد أثمرت وإن تشوهت ثمرتها. تلك الثمرة الذابلة اللاذعة كيف لأحد أن يقتطفها. والأهم من ذلك أن "سايايما" قد أدرك أنه كان أول من هدم مستقبل "تاميكو" ودفعها إلى حياة بائسة. لقد أحب "تاميكو" وسمح لها أن تتركه فحزن لفراقها ثم نسيها؛ لكن تُرى ما الخسارة التي تكبدها هو؟

خرج "سايايما" في عجلة من بيت "تاميكو"، وخرجت "تاميكو" لتوصله ومعها "يوكيكو". كان طريقًا صاعدًا وكانت "يوكيكو" على مسافة منها تمشي في ممر من العشب على طرف مصرف مائي.

"يا "يوكيكو".

نادتها "تاميكو"، لكنها ظلت تمشي في الممر العشبي على طرف المصرف المائي.

## (٤)

_____ أمي "تاميكو" ماتت. من "يوكيكو".

استلم هذه البرقية في شهر أبريل من العام التالي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إن "يوكيكو" هي المرسل. إنها وحيدة الآن؛ وربما لا تستطيع تصريف أمورها. ألن تذهب إليها؟ "

قالت "توكيدا":

ولسبب ما كان لصوت حروف اسم "يوكيكو" وقع حزين في صدر ساياما؛ فهو لم يذهب إلى بيتها في "أزابو" سوى تلك المرة؛ ومنذ ذلك اليوم لم يأته خبر منها؛ ورغم هذا أرسلت "يوكيكو" برقية باسمها لتخبره بموت أمها. ترى فيم تفكر "يوكيكو" وما نواياها؟

" لا أدري متى تكون الجنازة؟ وإذا ما ذهبت قبلها فربما يجب أن أجهز بعض المال لآخذه معي".

" وما الداعي لذلك...... أعليك أنت أن تتحمل حتى هذا الأمر؟! "

قالت - وقد بدا عليها الغضب - وهي تذكره بألا مسئولية تفرض عليها هذا. ولكن.....

" لا مفر من هذا. ربما هذا آخر ما يمكنك أن تفعله من أجلها. يا لها من نكبة غريبة! "

قالت وهي تتبسم لتخفي امتعاضها ثم أعدت لـ "ساياما" ملابس العزاء.

في بيت "تاميكو" كان الكثير من المعزين - يبدو أنهم من الجيران - بالطبع لا يعرف أي منهم "ساياما". فناداها ....

" يا "يوكيكو"!؛ يا "يوكيكو"! "

أسرعت إليه "يوكيكو". وكانت الفتاة تبدو في حيوية وكأنها لم تفقد أمها. وعندما رأت "ساياما" بدت الدهشة الكبيرة عليها لكن ملامح السعادة البريئة على وجهها لم تكن الكلمات لتصفها. كما بدت الحمرة على وجنتيها. فشعر "ساياما" بدفء يسري في قلبه وارتياح لأنه أتى من أجلها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اتجه "سـاياما" إلى الجـثمان في صـمت وتبعنـه "يوكيكـو". وأحـرق "سـاياما" البخور. فجلست "يوكيكو" عند رأس "تاميكو" وانحنت قليلاً .....

" أمي "

ونادت "تاميكو"؛ ثم رفعت المنديل الأبيض من عـلى وجههـا. أمـا "سـاياما" فقد آلمه أن تخبر "يوكيكـو" أمهـا بقدومـه وكـشف وجههـا لـه؛ أكثـر مـن ألمـه لمـوت "تاميكو". ثـم نظـر "سـاياما" إلى وجـه "تـاميكو" الهـادئ كالـشمع الأبـيض وهـو يقول.....

"ما أجمل هذا الوجه".

أومأت "يوكيكو" برأسها.

" إن أمي..... "

" ماذا؟ "

" طلبت أن أبلغك سلامها ".

وفجأة أجهشت بالبكاء فغطت وجهها بكفيها.

" لذلك أرسلت لي البرقية؟ "

" نعم".

" فعلت الصواب بإخباري. أشكرك".

ثم ربت "ساياما" بيده على كتف "يوكيكو".

" لا تبكي يا "يوكيكو". إن بكاءك سوف يؤلم الجميع ".

استجابت "يوكيكو" في طواعية وهي تومئ برأسها أكثر من مـرة ثـم مـسحت عينيها. وغطى "ساياما" وجه "تاميكو" بالمنديل الأبيض.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ها قد أضاءت المصابيح. لم يستطع "سايامًا" أن يغادر؛ كما أن بقاءه أمر ليس طبيعيا. لذلك قرر أن يبقى قليلا ليرى كيف تسير الأمور. ولما جلس إلى زاوية من الغرفة وجد "يوكيكو" في لهفة تأتي له بوسادة للجلوس وتعد له الشاي ومنقوعة السجائر. كانت على صغرها تبذل أقصى جهدها فأثارت شفقته؛ لكنها كانت لا تعتني بغير "سايامًا" ولا تلتفت لأي من الحاضرين. هذا الاهتمام البين - وإن كانت "يوكيكو" بعدها فتاة صغيرة - انتابه القلق في كيف قد يُفسر الآخرون اهتمامها به؛ فناداها "سايامًا" ليحدثها في الخارج. لكنه لم يجد سبيلاً ليلفت نظرها إلى هذا الذي تفعله - من الاهتمام به فقط - دون قصد في وسط الحزن الذي تعيشه.

" من الذي ..... سوف يهتم بالإعداد لمراسم الجنازة؟ "

" هل أناديه لك؟ "

" لا داعي ـــــ هل انتهيتم من إعداد الطعام الذي يأكله المعزون في ليلة الجنازة؟ "

" لا أعرف".

" إذًا يجب أن نطلب بعض الأشياء. هل في الجوار مطاعم لنحضر منها "سوشي"؟ "(٥)

" نعم ".

" فلنذهب سويًا إذًا ".

بينما يسير "سايامًا" وسط الظلام بالطريق المنحدر سيطر عليه الحزن.

وكانت "يوكيكو" - مرة أخرى - تمشي في الممر العشبي على طرف المصرف المائي.

" امش في المنتصف ! "

---

(٥) الطعام الياباني الشهير الذي يعد من الأرز المطهي بالبخار على الطريقة الآسيوية وفوق الأرز قطع من الأسماك غير المطبوخة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال "سایاما"؛ فبُهتت "یوکیکو" ومشت إلى جانبه تمامًا.

" انظر ! لقد بدأت أزهار "الساکورا"[٦] تتفتح ! "

" "ساکورا"؟ "

" نعم؛ هناك ! "

وهي تُشير إلى أعلى جدار يحيط ببيت كبير. وأخرج لها "سایاما" بعض النقـود؛ لكن "یوکیکو" ارتعدت وكأنها رأت شيئا مخيفا وأبت أن تأخذها.

" يجب أن يكون معك بعض المال يا "یوکیکو"؛ ربما تحتاجينه ".

وحاول أن يضع المال في جيبها؛ لكن "یوکیکو" أفلتت منه فسقطت النقود على الأرض متبعثرة. شرع "سایاما" في جمع النقود من الأرض.....

" سوف أجمعها أنا ".

ما إن انحنت "یوکیکو" حتـى انتحبـت باكيـة وكأنهـا تـسعل. وحتـى بعـد أن استقامت من انحنائها ومشت استمرت في البكاء.

" يجب أن تتوقفي عن البكاء عند عودتنا إلى البيت ".

وعندما وصلا إلى البيت كان ما يتحسبه "سـایاما" قـد وقـع؛ أي أن الآراء قـد اجتمعت على أنه الأولى بأن يكفلها؛ فجاء بعض من الجـيران وأخـذوا يستـشيرونه في الأمر. كان أبو "تامیکو" رجلا طاعنا في السن وقد حضر من قريته؛ وهو مـزارع فقـير بدا وكأنه لا يدري كيف يتصرف في هذا الموقف فلم يكن يتـدخل في شيء. ويبـدو أن أحد الجيران وجد "سایاما" شخـصًا صـعب الاقـتراب فأخـذ يلـح عليـه أن يـذهب لينام.....

Telegram:@mbooks90

(٦) أزهار شجرة الكرز، وهي زهرة يعشقها اليابانيون وتتفتح بدء من شهر فبراير تدريجيا مـن جنـوب اليابان إلى شمالها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وأنت يا "يوكيكو" فلقد تعبت كثيرًا الفترة الماضية؛ والأفضل أن تسترخي، فإن لم تنامي جيدًا فلن تستطيعي المواصلة في الغد. هيا؛ هيا ! ففي الطابق الثاني للمنزل المجاور أعددنا أماكن للنوم؛ فاذهبي وخذي عمك معك لتُريه المكان".

كانت "يوكيكو" تقف بجوار "سايام" فذهب معهـا إلى الطـابق الثـاني للبيت المجاور. وفي غرفة مساحتها ست قطع من حصير "التاتامي"(عشرة أمتار مربعة) كان بها ثلاثة مفارش للنوم. بالطرف الداخلي كانت تنام امرأه ما؛ لذلك استلقى "سايام" بالفراش في الطرف الخارجي ناحية غرفة المعيشة. وكانت "يوكيكو" بـالفراش الذي يتوسطهما ولم تتوقف عن التقلب بالفراش.

" ألا تستطيعين أن تسترخي؟ "

ما إن قال لها "سايام" كذلك حتى انتحبت "يوكيكو" بشدة مرة أخرى. فمد "سايام" يديه من بعيد وأحاط بعنقها. أمسكت "يوكيكو" بيـدي "سـايام" وغطت بهما وجهها. وعند ابتلال كفيه بعبرات "يوكيكو" الدافئة؛ تولد لدى "سايام" يقين لا يساوره شك عن مشاعر حب "تاميكو" الشجي.

" ألا تستطيعين النوم؟ "

" لا "

" أدرك ما تشعرين به من حزن... "

قالت "يوكيكو" وهي تهز رأسها نافية....

" هذا الفراش رائحته كريهة؛ يشعرني بالاشمئزاز ".

" ماذا؟ "

اقترب "سـايام" مـن الفـراش فوجـد رائحـة جـسد ذكـوري نفـاذة. وداهـم "سايام" إحساس بأنوثة "يوكيكو".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" فلنغير أماكننا، فذلك الفراش استخدمه الرجال من قبل".

صباح اليوم التالي؛ في غرفة الخادمين دفعت "يوكيكو" المال من النقود التي أعطاها لها "ساياما".

(٥)

بالفعل كانت "يوكيكو" تُعد طعام الإفطار حتى في صباح يوم زواجها.

" يا "يوكيكو" ! كفاك هذا".

قالت لها "توكييدا"؛ عندما استيقظ "ساياما" على صوتها - وهي توبخ الأطفال - كانت "يوكيكو" تُعد صندوقي الطعام ليأخذهما الطفلان إلى المدرسة.

عنفت "توكييدا" الخادمة أيضًا.

" لا عليك يا خالتي ! هذا آخر ما أقوم به فاسمحي لي أن أنهيه".

ثم أعطت صناديق الطعام للأطفال

" تفضلا ! "

وأمسكت "يوكيكو" طفلا بكل يد من يديها وخرجت بها. "توكييدا" - وهي تنظر إليها - قالت تمازح "ساياما"

" أتذكر يا زوجي؛ هذا آخر ما يمكنك أن تفعله من أجلها ! "

" حقًا! إذا ما زوجتها سيكون هذا آخر ما يمكنني أن أفعله من أجلها ! "

" وما أدراك..... لعله لازال هناك الكثير مما يمكنك أن تفعله ".

......كان كفلها لـ "يوكيكو" نتيجة لتعاطف "توكييدا" معها أكثر منه تعاطفا من "ساياما". فبعد وفاة "تاميكو" بفترة أرسل "ساياما" خطابا إلى "يوكيكو"؛ لكن الخطاب قد عاد إليه لعدم الاستدلال على العنوان الذي انتقلت إليه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي يوم من الأيام كانت "توكيدا" بأحد المتاجر فوجدت "يوكيكو" تعمل نادلة بالمطعم.....

" لم تكن بالهينة تلك المشاعر من الحنين التي رأيتها على وجهها. يا لها من مسكينة ! قالت لي إنها تركت المدرسة وتعمل في مطعم بالمتجر. لو كنت مكانك من المؤكد أنك كنت ستقول لها أن تأتي معك إلى البيت ".

كان هذا هو الحديث الذي أدى إلى أن تصبح "يوكيكو" واحدة من أفراد بيت "ساياما". ورغم أنهم أعادوها إلى المدرسة فإنها تكد في العمل بالبيت من الاعتناء بالأطفال وحتى أعمال المطبخ. نسيت "توكيدا" تمامًا كونها ابنة المرأة التي كان يحبها زوجها في الماضي وأحبت "يوكيكو" كثيرًا. ومن أجل أن تزوجها؛ كانت "توكيدا" هي من سجلتها رسميا في عائلة "ساياما" ليتبنوها.

في إستوديو التصوير كان هناك رجل يعمل في توريد الملابس وله عمل إضافي كوسيط للزواج. رأى الرجل "يوكيكو" وعرض أن يأتي لها بشريك للزواج فاستهوى "توكيدا" هذا الحديث.

" إن "يوكيكو" فتاة مطيعة وهذا حسن جدًا؛ لكنها كثيرًا ما تكون شاردة وأرى أنه من الأفضل أن نزوجها. فليس من الطبيعي أن نقيد ابنة أناس آخرين في بيتنا لفترة طويلة هكذا! "

هكذا قالت "توكيدا".

"واكاسوغي" شريك الزواج كان موظفا في بنك وقد تخرج في الجامعة منذ ثلاثة أعوام. كانت أعباؤه قليلة؛ ولا شك أنه شريك أكثر من رائع بالنسبة لـ "يوكيكو". وكان جواب "يوكيكو" بأنها سوف تترك الأمر كله لعائلة "ساياما" لتقرر ما تشاء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في صباح يوم الزواج - حيث تغادر "يوكيكو" البيت - بعد أن شكرتها "يوكيكو" على "صينية المباركة"[٧] الرمزية.

" يا "يوكيكو" ! إذا ما اشتدت بك الأمور فلا تترددي في العودة إلى هنا "

ما إن قالت لها "توكييدا" هذا القول حتى انفجرت "يوكيكو" في البكاء وارتعشت يداها. وخرجت مسرعة من الغرفة.

" هل من أحمق يقول مثل هذا القول السخيف ! "

" لكن لو كانت ابنتي ما قلت لها هذا ! "

قالت "توكييدا" رادة باندفاع على "سايامًا".

" لكن في حالة "يوكيكو" فإن لم أقل لها ذلك؛ هذه المسكينة ستظن أن ليس لها مأوى. "

" حتى لو كان الأمر كذلك ..... "

" ومع ذلك لا بأس. فإن أية عروس غالبا ما تبكي قبل أن تترك بيت أهلها، وبكاء "يوكيكو" اعتبره دليلا على أنها قد أصبحت ابنتي بالفعل".

في المعبد الكبير بمنطقة "إيتاباشي" كان يجلس في الجانب المخصص للعريس "سوجياما" أربعة عشر شخصا من أقاربه؛ أما في الجانب المخصص للعروس "يوكيكو" فلم يكن هناك سوى "سايامًا" وزوجته. تلك القاعة الخاصة بمراسم الزواج كانت واسعة تكسوها ظلمة خافتة أقرب لأن تكون خاوية موحشة.

في الحفل كان مدعوا للحضور اثنان من أصدقاء "سايامًا" مع زوجاتهما وكذلك عشر من صديقات "يوكيكو" بمدرسة البنات. هؤلاء الفتيات في ملابسهن الفضفاضة أدخلن البهجة على حفل الزواج.

---

(٧) صينية يضع عليها اليابانيون بعض الأطعمة التي ترتبط بالفأل الحسن في الثقافة اليابانية في المناسبات السعيدة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"سايامًا" وهو يجلس في مكان والد العروس :

" ما أجمل هؤلاء الفتيات، واثقات في أنفسهن لا يهبن شيئا. "

" هذا طبيعي؛ فقد ساعدوهن عند ارتداء "الكيمونو" لتبدو صدورهن أكبر حجمًا ".

" صدورهن ....؟ هل وضعن شيئًا؟ "

" عليك أن تلتزم الصمت ".

قالت "توكييدا" مؤنبة. لكن "سايامًا" راودته ذكريات "تاميكو" الموجعة؛ فلم يستطع أن يظل ساكنًا. والتفت إلى حيث النافذة ظانًا أن روح "تاميكو" قد جاءت لتلقي نظرة على ابنتها في زي عرسها.

" ما هذا؟! أترين "يوكيكو" تأكل كل ما يقدم لها من أطعمة ! "

" هذا طبيعي؛ فقد قلت لها أن تأكل. السائد أن العروس في الفترة الأخيرة تأكل. على العكس؛ فليس من المستحسن ألا تأكل ".

" لا أظنها كذلك. فهي تبدو وكأنها تنتقم ".

قال لها "سايامًا" هامسًا.

لم يذهبا لتوديعها في رحلة الزواج. فقد رفض قول "توكييدا" التي أرادت أن توصلها إلى المحطة قائلاً:

" لا يجب أن يذهب والدا العروس ".

وداخل السيارة التي أقلتهما من قاعة الاحتفال كانت الوحشة لا وصف لها. ظل "سايامًا" صامتًا مطأطئًا رأسه لفترة من الوقت ثم قال وهو شارد:

" كان الحفل والمراسم كما ينبغي أن يكونا".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" حقًا. ترى هل أكون بذلك قد أديت ما يجب أن أقوم به من أجل "تاميكو" ؟ "

" لا تقولي مثل هذه الحماقة. كفى ! "

" ماذا؟ ألم تكن تحب "يوكيكو"؟ "

" كنت أحبها "

قال "سایاما" في هدوء.

" ما كان عليك أن تزوجها لترضيني،كان يمكنك أن تحتفظ بها في بيتنا لثلاث أو أربع سنوات أخرى. لم أكن أتوقع بأنك ستشعر بالوحشة إلى تلك الدرجة ".

قالت "توكيدا" في هدوء أيضًا.

" أشعر بأن إرسالها للزواج كان فيه قسوة ".

" كم هي مسكينة. ربما ما شعرت بهذا لو أتيحت لها الفرصة لتتعرف أكثر على السيد "واكاسوغي" لبعض الوقت ..... "

" ربما تكوني محقة".

" أنا لا أتحمل أن أزوج أحدا من أبنائي بعد اليوم. سوف أتركهم ليعيشوا مشاعر الحب. سوف أتركهم تمامًا ليعيشوا قصة حب ".

كان أكبر أبناء "سایاما" فتاة.

كان البرنامج أن يعودا في اليوم الثالث من رحلة الزواج لزيارة وسيط الزواج وآخرين للتعبير عن العرفان والشكر. وعندما ذهب "سایاما" إلى بيت "واكاسوغي" و"يوكيكو" الجديد كانت المفاجأة. فقد وجد "نيجيشي" جالسًا وكان يعنف "يوكيكو". ووجه غضبه أيضًا إلى "سایاما" لفعلته الشائنة كونه زوج "يوكيكو" دون أن يأخذ رأيه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وواقع الأمر أن "نيجيشي" كان مسئولاً عن "يوكيكو" لبعض الوقت لكونه زوج أمها، لكنه لم يسجلها في السجلات الرسمية باسمه لأنه انفصل عن "تاميكو" فلم يكن كلامه سوى افتراءات لا تستند إلى أي حق. قال "نيجيشي" إنه سوف يذهب معهم إلى أهل "واكاسوغي" ووسيط الزواج ثم أقحم نفسه وركب السيارة. أراد "ساياما" أن يقنعه بالتراجع والعودة فأوقف السيارة أمام أحد المباني، وبينما كان يحاول إقناعه في قبو البناء ظن أن "يوكيكو" تركتهم لتبقى بعيدا ثم تعود؛ لكن طال انتظارهم لها ولم تعد. ربما قد ذهبت لتلجأ إلى بيت "ساياما". ولم يجدوا تفسيرا لعدم عودتها سوى هذا؛ فطلب "ساياما" من "واكاسوغي" أن يعود إلى بيته. لكن في تلك الليلة لم تعد "يوكيكو" إلى بيت عائلة "ساياما".

ترى هل خشيت أن يكون "نيجيشي" سببًا لهدم بيتها الجديد فاختفت؛ أم إنها قد أقدمت على الانتحار؟ اتصل "ساياما" بأكثر صديقاتها قربا إليها من زملاء المدرسة.

" نعم؛ لقد وصلتني منها رسالة مطولة قبل الزواج مباشرة؛ لكن..... "

" لكن..... ماذا؟ تلك الرسالة..... ماذا كتبت بها؟ "

" لكن..... لا أدري إن كان يحق لي أن أقول ".

" قولي من فضلك. "

" لم أفهم كثيرًا ....لكن ربما كانت "يوكيكو" تحب شخصا ما".

" ماذا؟ شخصًا تحبه؟ أتقصدين عشيقًا؟ "

" لا أدري؛ أنا...... لكن كتبت أنها تعلمت من أمها أن الحب الأول لا يمحوه الزواج ولا أي شيء آخر. ولذلك فهي سوف تتزوج. كتبت أشياءً عديدة بهذا المعنى. "

" ماذا؟ "

أطبق "ساياما" جفنيه هو ممسكًا سماعة الهاتف.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في اليوم التالي؛ عندما ذهب "ساياما" إلى إستوديو التصوير لموعد لم يستطع أن يعتذر عنه؛ فوجئ أن "يوكيكو" كانت تنتظره واجمة منذ الصباح الباكر. فاستدعى "ساياما" السيارة على الفور وركب مع "يوكيكو".

ولم يكن يدري إن كان ما يفعله حمقًا أو كان طيشًا..... لكنه لم يستطع أن يثير هذا الأمر بعد كل ما حدث.

" لا عليك من هذا "نيجيشي"؛ فلا خوف منه ".

" نعم. هذا الرجل لا يعني لي أي شيء".

" هل هناك شيء آخر يؤلمك؟ لقد قالت لك "توكيدا" أن تعودي إلى بيت إن صادفك ما لا تتحملين. "

فقالت "يوكيكو" وهي تنظر إلى النافذة الأمامية

" حينها علمت كم هي محظوظة زوجتك. "

كانت المرة الوحيدة التي اعترفت فيها "يوكيكو" بحبها، وكانت المرة الوحيدة التي واجهت فيها "ساياما". لم يكن "ساياما" نفسه يدري؛ إن كان يقود السيارة ليأخذ "يوكيكو" إلى بيت "واكاسوغي" أم إلى أين كان يقودها. من "تاميكو" إلى "يوكيكو" حب كالصاعقة راسخ لا يتغير وهو في قلب "ساياما" بريق لا يتوقف عن الوميض.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ٢ "

# حُلم امـرأه



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## (١)

كان "كوهارا كينيتشي" في السادسة والثلاثين من عمره عندما تزوج بغتةً. ورغم أنه لم يكن من أنصار العزوبية؛ ورغم أن زواجه كان عن طريق وسيط لإتمام التعارف والزواج برغبته - ولا يوجد مجال لوصف زواجه بالـ "بغتة" - فإنه على أقل التقديرات كان كذلك من وجهة نظر أصدقائه. وربما يرجع ذلك إلى تجاوز روعة شريكته كل المتوقع.

وحتى إن من بين أصدقائه من ندم على التسرع بالزواج؛ وأعاد الأصدقاء النظر في شخصه فأجمعوا على أنه شخص عميق التفكير. وانتشرت الأقاويل بين أصدقائه بأنه قد يبدأ مشروعا جديدا بأموال زوجه؛ وحتى من قال إنه قد يبدأ مشروعا جديدا بدا لهم "كوهارا" شخصا يملك من البداية مقومات مالك لمشفى كبير. في المقابل رأى البعض أن هذا غير صحيح؛ وأن ذلك الرجل يهدف إلى الحصول على كرسي الأستاذية بالجامعة التي تخرج فيها. لكن في جميع الأحوال كان العجيب أن جعلت تلك الزيجة سببًا ليبدو "كوهارا" شخصا براقًا يجذب الأنظار.

كان "كوهارا" قد أصبح معيدا بجامعة "الطب الشامل" بعد تخرجه بقسم طب الأسنان. وكان ذلك من أجل الرونق الاجتماعي والتدريب العملي؛ وبالطبع من أجل إنهاء أطروحته للحصول على الدرجة العلمية. لكن حتى بعد إجازة رسالته العلمية - الذي كان سريعا نسبيا- بقي في الجامعة؛ وقد بدا أنه أعرض عن الممارسة العملية لطب الأسنان وامتلاك مشفاه الخاص؛ وقد يغير مجال تخصصه إلى "علم الأمراض".

إضافة إلى أنه قد لا يتزوج أبدًا؛ كان الانطباع السائد عنه أنه شخص غريب الأطوار. وقد تجنب أصدقاؤه القدامى الاقتراب منه - حين تخصص في طب



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسنان- وقالوا عنه إنه أصبح صعب التواصل؛ وإنه في الآونة الأخيرة بات يرتدي قناع العلماء.

وقد جاء زواجه ليجعل منه موضعا لاهتمام الجميع - على غير المتوقع حتى بالنسبة لـ "كوهارا" نفسه. فعندما يأتي أحد أصدقائه القدامى لزيارته يجده في صورة مختلفة تماما عما كان حتى في طريقة حديثه. وعندما يصطحب زوجه "هاروكو" للتريض كان يبدو رجلا عظيما في عين من يراه. ولم يكن يعلم "كوهارا" ما قد يكون من آثار إيجابية - مادية ومعنوية - لزيجته؛ لكن ما كان يراه في "هاركو" لم يكن مجرد حُسن وجه بل يرى إنسانة لابد وأنها ولدت وتربت في رغد من العيش. حتى إنه كان يفكر في أن نواقص سلوكه لايجب أن تؤثر سلبًا على كمال خلقها. وعلى الجانب الآخر؛ كان أصدقاء "كوهارا" يتعجبون لتأخر فتاة مثل "هاروكو" في اللحاق بقطار الزواج. فقد كانت تبدو في الثالثة أو الرابعة والعشرين رغم أنها في السابعة والعشرين.

" لازال في هذا العالم كنوز مدفونة؛ وما ضاع من ثابر فى البحث عنها "

استمع "كوهارا" ضاحكا إلى مثل تلك الأحاديث التي يختلط فيها الأمل بالسخرية دون أن يعيرها اهتمامًا ، وكان يبدو على وجهه ارتياح من حصد بعد طول انتظار. لكنه لم يفصح مطلقًا لأحد عن سبب تأخر "هاروكو" في اللحاق بقطار الزواج. لكنه في تلك الأوقات؛ لم يستطع أن يمنع نفسه من تذكر كلمات وسيط الزواج غير المبررة.

" وبعد ذلك - ودون علم الفتاة - كانت تجد نفسها في مواقف للتعارف بالمتقدمين للزواج؛ ولم يُذكر أن كانت هناك ولو مرة واحدة لم يرغب الطرف الآخر في إتمام التعارف والزواج منها "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن قلب "هاروكو" الذي تمسك برفض الزواج كان ثابتًا؛ وعندما أيقن والداها أن خداعها وتقديم الخطاب إليها لن يجدي استسلما لرغبتها ورفعا الراية البيضاء. وحرص والداها على تجنب التطرق لموضوع الزواج إلى ما يقرب من ثلاث أو أربع سنوات. لكن موضوع السيد "كوهارا" كان مختلفًا على حد قول وسيط الزواج.

وتم ترتيب اللقاء بينهما ليكن وكأنه مصادفة في مسرح وَتَقَدَّمَ "كوهارا" إلى "هاروكو" على أنه الطبيب المعالج لوالدتها بالمشفى الجامعي. ولم يكن الترتيب للقاء بالمختلف عنما تعرضت له "هاروكو" من قبل أكثر من مرة؛ لكن الاختلاف كان في أن الرفض التام الذي التزمته "هاروكو" من أربع أو خمس سنوات مضت لم يكن موجودًا. وكانت فرحة والديها لذلك التحول بمثابة بزوغ الفجر من الظلمات.

لكن "هاروكو" قالت إنها ترغب في إطلاع "كوهارا" على ذلك الأمر. والأمر هو أنه كان هناك فتى صغير مات بعد أن انقطع أمله في حب "هاروكو". ثم ضحك وسيط الزواج وجعل من الحديث مزحة وهو يقول إن الأمر كان مجرد خدعة طفولية بالانتحار ولم يكن سوى حب من طرف واحد. على أية حال فقد تعجب "كوهارا" كثيرًا من أن يجعل ذلك الحادث فتاة مثل "هاروكو" -لا ينقصها شيء- تقضي زهرة شبابها هباء. وبالطبع كانت إجابة "كوهارا" قد جاءت معتادة بأن " هذا يزيد من تمسكه بالارتباط بتلك الفتاة رقيقة المشاعر"؛ وقد سبقه بنفس الإجابة أكثر من شاب تقدموا لخطبتها من قبل.

" هذا صحيح؛ وأشكر لك تفهمك الأمر على هذا النحو. "

انحنى الوسيط له ممتنا وقال:

" لو كان هذا حدث في قديم الزمان لترهبنت الفتاة ووهبت نفسها لأحد المعابد رغم أنه لا ذنب لها في الأمر "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن "كوهارا" شعر برغبة في أن يسمع قصة الفتى من "هاروكو" مباشرة. وإن كان سماعه للقصة منها لن يغير من الأمر شيئا فقد اتخذ قراره بالتمسك بها - وربما كان من شيم الرجال على شاب في مثل عمره ألا يعير للأمر اهتماما - لكنه استشعر متعة في أن يجعل فتاة بروعة "هاروكو" تكشف له بنفسها عمَّا مضى من عمرها.

## (٢)

لم تضع أسرة "هاروكو" قيودا على مقابلتها مع "كوهارا" في مرحلة التعارف؛ بل على العكس من ذلك؛ فقد وجدوا أنه من دواعي السرور أن تكون ابنتهم التي بلغت من العمر السابعة والعشرين أكثر إيجابية وتلتقي بالزوج المنتظر. كما أن خوفهم من أن تفوت ابنتهم فرصة الزواج من "كوهارا" وتمضي عمرها دون زواج جعلهم يتلمسون إرضاءها بكل الطرق. لكن "هاروكو" كان لها قوام وحضور أنيق وأخاذ؛ وكان هذا يجعل "كوهارا" في الموقف الأضعف دائمًا منذ أن قابلها للمرة الأولى. ولم يملك لسانه أن يسألها عن أمر ذلك الفتى.

" لقد سمعت من الوسيط أسباب عزوفك عن الزواج لفترة ...."

أومأت "هاروكو" بمجرد أن بدأ حديثه.

وبدا وجهها جادا وكأنها كانت تتحين الفرصة للتحدث في الأمر. احمر جفناها وبدت على وجهها ملامح طفولية بريئة؛ فتلعثم "كوهارا" وهو يكمل حديثه .....

" لكن ما الذي جعلك تتراجعين ولا تمانعين مقابلتي ....؟ "

قال ذلك متسائلا عن أمر ليس من اللائق أن يسأل عنه

" هذا أمر يصعب علي أن أعرفه. ربما لأنك طبيب ".

" لأنني ..... طبيب؟ "

قالها "كوهارا" وقد أثارت دهشته بعض الشيء إجابة "هاروكو" الطفولية؛ ظنًا منه بأنها تستخفه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إجابة مقنعة؛ ربما الطبيب يكون مناسبًا. أعتقد أن خوفك من تجربة الزواج حتى الآن لن يتعدى كونه نوعا من الأمراض النفسية. وهذا مرض بسيط للغاية من اليسير أن تتعافي منه ..... "

لم يستطع أن يمنع نفسه من التعليق على إجابتها؛ لكن "هاروكو" لم تأخذ كلامه على محمل السخرية؛ وبدت وكأنها غارقة في أفكارها. وكان ذلك يبدو له مخيفًا حتى استشعر أنها قد تكون عنيدة إلى درجة الجنون أو حتى بعض من الحماقة. ولا شك أن رفضها المستمر لعدد لا حصر له من عروض الزواج حتى الآن لابد أن يكون وراءه جرح عميق بداخلها.

كان عليه أن يُخلص مواساتها ويحاول أن يجد مبررات لتجعلها تفصح له عن أمر ذلك الفتى وتتخلص من تلك العقدة بشكل طبيعي ودون تكلف. فكرر "كوهارا" قوله إنه ليس لديه أي تحفظ على ماضي "هاروكو" لكنه فقط يريد أن يمسح عنها غبار الماضي قبل أن يُقبلا على الزواج. وقال لها إن كان حملك ثقيلا فلنتقاسمه معًا. وقال إن عليها أن تلفظ ما احتبس في صدرها من منغصات أو تطهره.

" صحيح "

أومأت "هاروكو" ...

" كنت أنوي أن أحدثك بكل شيء. وأرجو منك أن نؤجل أي حديث بشيء يخصنا بعد أن تعرف ما سأخبرك به ".

" لم أقصد أنني سوف أعيد التفكير فيما يخصنا بعد أن أسمع. فقط كل ما أريد أن تزيحي عنك كل ما يشغلك..... "

" نعم؛ ولكن.... "

قالت "هاروكو" وكانت عيناها جادتين؛ ونظرت بحدة إلى "كوهارا" لكن سرعان ما احمرت وجنتاها وحنت رأسها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ربما تكون أنانية مني؛ لكنني أفضل أن تبدأ أنت بالحديث.... "

" أبدأ ....؟ أنا ....؟ "

أومأت "هاروكو" برأسها وكتفاها يرتعشان في وهن.

"كوهارا" متلجلجا من المباغتة...

" وماذا لدي لأقوله؟ "

" ماذا؟ "

قالت "هاروكو" وعلامات الدهشة على نبراتها:

" من المؤكد أنني وحدي فقط من عليه أن يطلب العفو؛ لكن ألا ما تحدثني أنت الآخر عنه فهذا يجعلني أشعر بوحشة في صدري ".

" لكنني ليس لدي ما أحدثك عنه مطلقًا ".

ورغم ما يقوله لم يبد على وجه "هاروكو" قناعة بصدقه. ولم يكن هذا كل ما في الأمر؛ بل كان من الغريب أيضا أن كلمات "كوهارا" لم يكن لها صدى قوي في الآذان.

" حقا ليس لدي ما أقول ".

ولكم ردد قوله هذا كلما زادت أصداء الريبة التي تحملها الكلمات.

" إذا ما كنت تصر على التهرب من الإجابة بهذه الطريقة؛ فإنك تصعب علي الحديث. أرى أنك أزمت لي الأمر هكذا."

وبدا أن "هاروكو" قد عادت لتغلق أبواب قلبها...

" أظنني سأكون وحدي من يتذوق مرارة هذا الموقف "

وفي ذلك اليوم افترقا دون أن يستطيعا الاقتراب من بعضهم بعضا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت "هاروكو" محقة في هجومها المضاد. فليس من الطبيعي أن يعيش رجل حتى سن السادسة والثلاثين وليس لديه ما يفصح عنه من بعض الأمور التي تخص علاقات نسائية ولو قليلة. ولم تكن "هاروكو" تستند بقناعتها تلك سوى إلى الفطرة. أو ربما كان لديها تصور يتجاوز تلك الفطرة. وليس بعيدا أنها اعتقدت أن "كوهارا" الذي لم يُقدم على الزواج حتى سن السادسة والثلاثين قد يكون لديه هو الآخر من الألم ما جعله يتقدم لخطبة فتاة يعلم أن في ماضيها فتى قد انتحر من أجلها؛ أي إن كليهما يشبه الآخر في تجرع مرارة من نوع ما.

ترى هل قبلت "هاروكو" مقابلته ظنا منها أنه طيرٌ على شاكلتها وقد يواسي أحدهما الآخر ويسامح أحدهما الآخر. على أية حال لا شك أن تفكيره في أن يستمع فقط إلى اعترافات "هاروكو" لم يكن إلا أنانية واضحة ومفرطة. لذلك عندما قالت "هاروكو" إنها تود أن تسمع منه أولاً كانت مفاجأة هزته بقوة.

"كوهارا" لم يكن جسدا طاهرا كالأطفال؛ لكن إذا ما كان الأمر يتعلق بالزواج فهو لم يكن لديه علاقة بأية امرأة قد تعلق بها قلبه بالماضي؛ أو أخرى يكون له معها علاقة يخجل من الحديث عنها. وما كان كارها للمرأة بطبيعته أو عاش حياته يخشى ظل المرأة؛ لكنه لم يملك قدرا من الحظ في علاقته بالجنس الآخر طوال عمره لدرجة تثير الدهشة.

لكن ربما مع مرور "كوهارا" بالفترة العمرية التي من الطبيعي أن تمتلئ بموضوعات تتعلق بالجنس الآخر دون حدوث ذلك؛ أصبحت هذه هي السمة الغالبة على شخصيته؛ فجعل ذلك النساء يتعففن عنه ويبتعدن عنه من تلقاء أنفسهن. وأغلب الظن أن تلك السمة الغالبة على شخصيته هي نفسها التي جعلت أصدقاءه يدهشون لموضوع زواجه من "هاروكو". أما عن "كوهارا" فلم يكن يشعر بكثير من الوحدة؛ ويبدو أن ما اتسم به من قلة حظ - في علاقاته بالجنس الآخر - قد استعاده بشكل كبير في النهاية متمثلا في "هاروكو". لكن مباغتة "هاروكو" له جعلته يشعر بأن عليه أن يتأمل ماضيه من جديد.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن عدم وجود ما يُحدِّث به "هاروكو" عن ماضيه؛ كان مدعاة للفخر بالنسبة له وكان من دواعي سروره أيضًا؛ لكن عدم استطاعته نقل هذا الرضا على صورته إلى "هاروكو" إن لم يكن قصورا منه فما عساه أن يكون؟! وقد فهم "كوهارا" هذا على أن صدقه لم يكن بالقدر الكافي. فهل هذا يعني أن هناك شيئا على غير ما يدركه في أسلوب حياته اليومية التي اعتادها. وبينما يعيد تقييم حياته الماضية أخذ يداخله إحساسه بالسخرية من نفسه ويزداد يقينه بأن "هاروكو" قد تكون محقة في عدم إيمانها بصدق ما يقول. وإذا كانت "هاروكو" لن تفصح له عما بداخلها حتى يحدثها عما مضى من حياته؛ فما المانع أن يصطنع لها قصة حب خيالية ويحدثها بها كأنه عاشها.؟!

## (٣)

من أجل "هاروكو" انغمس "كوهارا" في خيالات عاطفية استعاد بها كل ما يمكنه من ظلال نسائية مرت به في حياته بدءًا من أصدقاء طفولته وحتى الممرضات والمرضى من النساء في المشفى.

كانت لعبة حمقاء. خاصة وأن الطرف الآخر من اللعبة هي "هاروكو" الفتاة التي يتقدم للزواج منها فجعل ذلك منها مسرحية لا حياة فيها ولا طعم لها. وبالفعل لم يستطع بكل ما بذل من جهد أن يجعل من تلك الأكاذيب المبتذلة طعما يتصيد به اعترافات "هاروكو". وحتى عندما سمع تفاصيل قصة ذلك الفتى الذي انتحر من أجل "هاروكو" لم يجد فيها ما توقعه من تشويق.

كان ذلك الفتى ابن عم لـ"هاروكو" يكبرها بعامين؛ في أيام طفولتهما تربى في منزل بالقرب من منزلها؛ وحتى عندما رحل عن طوكيو بعد أن أصبح والده محافظًا بأحد الأقاليم استمرت المراسلات بينهما وكانت سلواه أن يلقاها لقضاء عطلات الصيف والشتاء إما بالشواطئ أو منتجعات التزلج على الجليد. غير أنه في أواخر المرحلة الإعدادية غلب على مراسلات الفتى العبارات العاطفية وكانت أشبه بالرسائل الغرامية. وعندما التحق بالمدرسة الثانوية في طوكيو أقام في بيت "هاروكو" ليذهب منه إلى المدرسة وفي ذلك الوقت صرح لها بحبه. لكن "هاروكو" لم تقبل حبه متعللة بأنهما لن يستطيعا الزواج لأنهما أبناء عم[٨].

---

(٨) القانون المدني يمنع الزواج بين الأقارب لما هم دون الدرجة الثالثة لكنه لا يضع عقوبة له.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهب الفتى في شتاء ذلك العام إلى منتجع التزلج ولم تكن معه تلك المرة؛ وخرج للتزلج في جبال ذات منحدرات شديدة الحدة - ووسط عاصفة ثلجية قاسية - فسقط فى واد بين الجبال. ورغم أنه تم إنقاذه على الفور فإن ارتطام صدره بالأرض أثر على الغشاء المحيط بالرئتين ودخل على إثره المصحة وهناك انتحر. وترك قبلها وصية مطولة إلى "هاروكو" وقد نشرت إحدى الصحف جزءا منها. لو كان أقدم على الانتحار داخل المصحة لكان الأمر أهون؛ لكنه انتحر بإلقاء نفسه في البحر بعد أن هرب؛ وهذا يجعل جزءا من المسئولية على المصحة؛ لذلك اضطر المسئولون عرض الوصية على الصحافة لتوضيح أن السبب في الانتحار كان وراءه فشل في تجربة عاطفية.

" وكم كان عمرك وقتها يا "هاروكو"؟ "

لم يجد كلمات ليواسيها فسألها ثانية بعد برهة من التردد. وكانت القصة شديدة البساطة حتى إن "كوهارا" ظن أنها من نسيج خيال "هاروكو". كما أنه شعر وكأنه سبق له قراءة مثل هذا النوع من الحكايات غير مرة على صفحات الجرائد. وإن كانت أي من قصص الحب إذا ما سمعها الآخرون ربما يجدونها بسيطة الأحداث إلى حد كبير؛ فلابد وأن "كوهارا" كان لديه خيال يصل إلى حد مرضي صور له أن ما جعل فتاة مثل "هاروكو" تعزف عن الزواج حتى ذلك العمر يجب وأن يكون أمرًا مأساويًا يفوق التصور. إن أمرًا عاديا كهذا كاف لأن يكون طعنة في قلب فتاة. حتى وإن لم يكن حبًا اشتعل بينهما لفترة من الزمن فلابد أن هناك الكثير من الذكريات الجميلة جمعتها بابن عمها.

" كنت تحبينه يا "هاروكو" أليس كذلك؟ "

أومأت "هاروكو" منصاعة لقول "كوهارا"

" نعم؛ عندما فكرت بعد ذلك .... لكن؛ لم تكن سوى مشاعر طفولية ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لا شك أن ما أصاب ابن عمك من مكروه قد جعل الأمور متأزمة بين العائلتين ".

كانت كلمات لا تحمل قدرا كبيرا من الاهتمام؛ لكن "هاركو" في جد قالت

" ليس أبي ولا أمي من النوع الذي يلومني "

" وهل هذا ما جعلك أكثر حماسة لرد الجميل؟ "

" الجميل ...؟ ربما معك الحق؛ ترى أكان ردا للجميل؟ "

لكن اعترافات "هاروكو" لم تكن قد انتهت عند هذا القدر. مات ابن عمها وكانت في التاسعة عشرة من عمرها؛ وبعدها بعامين جاءها عرض للزواج. وكانت "هاروكو" تميل إلى الموافقه؛ لكن بعد التوصل إلى الاتفاق حول معظم الأمور المتعلقة بالزواج علم الطرف الآخر بأمر انتحار ابن عمها فتراجع بشكل مفاجئ وتركها. وصدمة "هاروكو" نحو إنهاء الاتفاق على هذا الزواج كانت أكبر من صدمتها بموت ابن عمها. فقد أدركت "هاروكو" وقتها أنها فتاة ليس لديها فرصة للزواج وربما كان قرارها بالعزوف عن فكرة الزواج منذ ذلك الحين لأنها أحبت "كاتاغيري" الذي تركها في تلك المرة. ومن المحتمل أن يكون الحب الأول لـ "هاروكو" هو "كاتاغيري" وليس ابن عمها. وكان حبها لـ "كاتاغيري" هو الذي جعلها تتصور أنها كانت تحب ابن عمها.

وربما كانت تخشى أن أي عرض للزواج بعد ذلك قد يفشل بسبب موت ابن عمها؛ لكن الأرجح أنه كان لا يزال في أعماقه بعض من الأمل لعودة "كاتاغيري". بعد أن وصل رفض رسمي من عائلة "كاتاغيري" لإتمام الزواج؛ قابلته "هاروكو" مرة واحدة سرًا دون علم أحد. وفي تلك المرة وعدها "كاتاغيري" بأن يبذل جهده لإقناع عائلته بإتمام الزواج.

لم تكن "هاروكو" تنوي إخفاء أمر "كاتاغيري" عن "كوهارا"؛ وكانت تنتظر فقط تحفيزًا من "كوهارا" لكي تفصح له عن كل شيء. لكن "كوهارا" بمجرد أن



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سمع ما يخص ابن عمها اعتقد أنه علم كل شيء وظهرت على وجهه علامات الرضا؛ فسكتت "هاروكو" ولم تعقب. كما أن أمر "كاتاغيري" كان أصعب عليها أن تتحدث عنه. فعندما تقدم لها "كوهارا" كانت "هاروكو" قد علمت بأن "كاتاغيري" قد تزوج بالفعل من فتاة أخرى؛ وهذا الأمر جلعها تتذوق إحساسا بالمهانة.

## (٤)

في الليلة الثانية بعد زواجها من "كوهارا" وفي غرفة الفندق أثناء رحلة الزواج؛ رأت "هاروكو" حلمًا لابن عمها الذي مات. لا تتذكر جيدا إن كان ذلك في بيت ابن عمها بالريف أم في بيت أسرة "هاروكو" ولكنها عندما دخلت إحدى الغرف التفت لها فجأة ابن عمها الذي كان يجلس إلى مكتب؛ وفي تلك الغفلة تصلبت "هاروكو" في مكانها وانتبهت إلى أنها كانت شبه عارية؛ فصرخت صرخة أفاقت على إثرها من نومها. كان وجهها قد احمر من فرط إحساس بخجل لا يوصف؛ وانتفضت "هاروكو" مقشعرة لبرودة تسري في جسدها؛ فتشبثت بأكمام ثياب "كوهارا". وعندما تذكرت أن ابن عمها قد مات همست من فرط فزعها .....

" سامحني ....."

ثم اقتربت بجسدها من زوجها وهي ترتعش. وفي تلك الليلة شعرت أنها بزواجها قد ارتكبت جرما في حق ابن عمها؛ لكن عندما فكرت بعد ذلك وجدت أن حلم تلك الليلة كان هو الجرم بعينه. لكن ابن عمها و"كاتاغيري" كذلك أصبحت ذكراهما خافتة - أكثر من حلم -؛ وأصبحا كظلال بعيده تتلاشى؛ وبقدر تلاشي ظلالهما تكبر زهرة تفتحت بزواج في سن متأخرة ووهبت ما ادخرته من زهرة شبابها إلى "كوهارا".

" من يصبر في روية مثلنا حتى يلتقي شريكه الحقيقي لا شك أن القدر سوف يجزيه. "

قالها "كوهارا" فوجدت "هاروكو" كل ذكريات الماضي تتلاشى من مخيلتها. وتدفقت من داخل "هاروكو" طبيعتها الخيرة بغزارة كأنها تغمر هذا البيت الجديد بسعادة تنتظره.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي يوم من الأيام.....

" تلك الوصية التي تركها ابن عمك؛ ألا تذكرين في عباراتها أمرًا غير طبيعي؟"

قالها "كوهارا" دون اكتراث.

" نعم؛ ربما كان بها بعض الأمور الغريبة ".

قالت "هاروكو" دون اكتراث.

" لابد أن تكون غريبة. في الحقيقة؛ كان هناك صديق لصديقي بالمصحة التي دخلها ابن عمك وطلبت منه أن يتقصى لي الأمر؛ فعرفت أن ابن عمك كان يعاني من انهيار عصبي حاد. أي إنه كان على أعتاب مرض نفسي؛ حتى إنني علمت باسم المرض الذي كان يعانيه. ويبدو أن انتحاره لم يكن بسبب فشله العاطفي معك. ربما كان ما عاناه من مرض الصدر سببا لما أصابه من قنوط؛ لكن ما أصابه من جنون كان بسبب سماته الشخصية. هذا يعني أنك لست مسئولة عن انتحاره يا "هاروكو". "

" حقًا؟ ومتى تقصيت كل تلك الأمور؟ "

" منذ زمن طويل. "

" إذا كان الأمر كذلك؛ ليتك أخبرتني على الفور بما علمت. يا لك من ماكر ".

قالت "هاروكو" تمازح زوجها وقد رفعت نظرها إليه. لكن ما جعلها تخفض رأسها فجأة في تلك اللحظة كان خاطرًا بأن لو عرفت ذلك الأمر منذ زمن لكانت تزوجت من "كاتاغيري"؛ فاندهشت من نفسها وأخفت ذلك بابتسامة حزينة. وقال "كوهارا" بشيء من الفخر:

" لكن لم يكن زواجنا إلا بفضل ذلك الجنون ".

" حقًا "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لقد أرهقت نفسك في تحمل الأمر وكنت جادة في ذلك؛ وأنا أكنُّ كل التقدير لتلك المشاعر"

منذ تلك اللحظة حاولت "هاروكو" أن تذكر ابن عمها في مواقف جميلة. وعادت لها ذكريات شواطئ الصيف وجبال الجليد في الشتاء. لكن ما بداخل "هاروكو" من سعادة وهبتها لها السماء يبدو وكأنها في طريقٍ للزوال.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ٣ "

# رسالة شامة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليلة أمس؛ رأيت حلما مثيرا عن تلك "الشامة السمراء". وبما أنني كتبت كلمة "شامة سمراء" فلابد أنك قد فهمت مقصدي. فقد عنفتني بسببها مرات تتجاوز المئات التي لا أستطيع حصرها؛ تلك "الشامة سمراء". إنها ليست في كتفي الأيمن بالضبط؛ ولكن إذا ما قلت عند التقاء الكتف بالعنق أكون أكثر دقة؛ تلك "الشامة السمراء":

" إنها كبيرة كحبة الفول السمراء. إذا ما تحسستها بشكل مستمر فربما تنبت في أي لحظة .... "

وإنها حقًا كما كنت تقول متهكمًا - على الدوام - ليست كبيرة فقط وإنما منتفخة بشكل عجيب على غير ما هو معتاد أن تكون الشامة.

ومنذ صغري؛ كانت لدي عادة - عندما أخلد للفراش - أن أفرك تلك الشامة؛ ولا أستطيع أن أصف لك مدى خجلي عندما اكتشفت أنت تلك العادة أول مرة. فسالت دموعي وبكيت لدرجة قد تكون أدهشتك كثيرًا.

" كفاك ! كفاك ! يا "سايوكو" ..... كلما فركتها كبرت أكثر ".

كم من مرة بكتني أمي بهذا القول؛ لكن كان هذا حتى سن الرابعة أو الخامسة عشرة؛ أما بعد ذلك فقد أصبحت وحيدة مع تلك العادة. وبينما نسيت أن لدي مثل هذه العادة لم أدرك بعد أنني معتادة عليها. لكن عندما قدحت أنت عادتي؛ شعرت بخجل - ربما لا يفهمه الرجال- ليس كزوجة ربما الأصح أن أقول كفتاة؛ ولم يكن مجرد خجل بل ظننت وقتها وكأني ألمت بي مصيبة. وتصور لي الزواج بصورةٍ مُفزعة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان شعور بأنني فقدت كل سريرة في حياتي، ورغم ذلك كنت مملوءة بسرائر لا أعلم شيئا عنها؛ وخشيتي من أنك قد تكشف عن تلك السرائر حجابها جعلني أشعر وكأنني لم يعد لي حتى موضع لقدماي. وعندما كنت تغفو فتنام على الفور؛ كانت تخالطني مشاعر بين الوحشة والارتياح ثم أسهو لتمتد يدي إلى الشامة السمراء وكم تملكني الذهول من هذا.

" حتى إنني لا أستطيع أن ألمس شامتي مطمئنة ".

كلما فكرت أن أكتب في خطاباتي لأمي هذا؛ كنت أخجل من حالي حتى أشعر باحمرار وجهي.

" ما بالك ! هل تشغلك مثل تلك الشامة إلى هذا الحد ! "

حينما قلتها لي بلهجة شديدة دخلت البهجة إلى نفسي وأنا أومئ إليك؛ والآن بعد كل هذه الفترة يخطر ببالي أن ماذا لو أنك أحببت أيضا عادتي المخجلة.

لا أتصور أن أحدًا قد ينظر إلى هذا الموضع من عنق امرأة؛ لذلك لم تكن تشغلني الشامة كما كنت تظن. وهناك قول مأثور بأن " الفتاة الدميمة دائمًا وأبدًا ما تكون غضة وكأنها غرفة ظلت أبوابها مغلقة "؛ وهذه "الشامة السمراء" مهما كانت كبيرة فلا أرى أنها قد تصل إلى حد الدمامة.

لكني أتعجب من عادتي بمس هذه الشامة. وأتعجب أكثر لمَ كنت أنت منها؟

" مهلاً؛ مهلاً ..... "

مئات من المرات كنت تؤاخذني فيها

" وما الداعي للإصرار على أن تمدي اليد اليسرى؟ "!

كنت تقولها مستقبحًا

" اليد اليسرى؟!....؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكنت أرد سؤالك في دهشة. وقد كان الحق معك. فكنت دائما أمد يدي اليسرى لألمسها؛ ولم أدرك هذا حتى نبهتني إليه.

" حقًا؟ "

" بما أن الشامة بكتفك الأيمن فقد يكون أسهل أن تفركيها باليد اليمنى ".

" هل تعتقد ذلك؟ "

ومددت يدي اليمنى طواعية إلى موضع الشامة ...

" شيء غريب. "

" وما وجه الغرابة في ذلك ! "

" لأنني لا زلت أعتقد أن مد يدي اليسرى أمر طبيعي أكثر ".

" أليست اليد اليمنى أقرب؟! "

" نعم؛ أقرب. لكنها اليد العكسية ".

" العكسية .....؟ "

Telegram:@mbooks90

" نعم. أعني أن الاختلاف فيما كنت أمد يدي من أمام عنقي أم أمدها معكوسة. "

فلم أكن في تلك الفترة من ذلك النوع الذي يستسلم بسهولة. لكنني بينما كنت أرد بكلماتي خطر ببالي أنني عندما أمد يدي اليسرى من خلف عنقي قد أكون دون أن أشعر أتخذ وضعا يمنعك عني؛ قد أكون بذلك وكأنني أحتضن نفسي بنفسي. وفكرت .... إن كان الأمر كذلك فلا بد وأنني أسيء إليك بهذه العادة؛ فتأثرت كثيرًا ....

" ولمَ يا تُرى استخدام اليد اليسرى غير مناسب؟ "

استدركت هكذا بنبرة لطيفة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إن كانت اليسرى أو اليمنى فهي عادة سيئة ".

" صحيح "

" قلت لك مرارًا إن مثل تلك الشامة يمكنك الذهاب إلى الطبيب لكيما واستئصالها تمامًا. "

" لا يمكن. أخجل أن أفعل هذا ".

" لكن يمكن استئصالها بكل سهولة ! "

" وهل يوجد أحد يذهب للطبيب ليستأصل شامة؟ "

" كثيرون جدًا يفعلون ذلك. "

" حقًا؟ لكن هؤلاء ربما من لديهم شامات في وسط وجوههم أو ما شابه؛ أما من لديهم شامة مثل شامتي وبموضع مثل موضع شامتي فلا يفعلون ذلك. فسوف يضحك الطبيب مني ويفطن بالتأكيد إلى أنه زوجي هو من طلب مني استئصالها ".

" يمكنك أن تقولي للطبيب إن لديك عادة لمس تلك الشامة ".

" ربما كذلك .... "

قُلتها يائسة.

" إنها بمكان غير ظاهر؛ إنها مجرد شامة ! فما بالك لا تنساها "

" لا يسيئني وجودها؛ إنما أريدك أن تكفي عن لمسها ".

" إنني لا ألمسها عن قصد. "

" حقًا إنك شديدة العناد. فمهما قلت لك لا تحاولين اجتناب تلك العادة ".

" أحاول أن أتوقف عنها. حتى إنني نمت أحيانا وأنا أرتدي قميصا له رقبة طويلة ملتصقة "

" وهذا أيضا لم يستمر كثيرًا ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وهل لمس الشامة أمر قبيح إلى هذا الدرجة؟! "

قلتها لشعوري بالرغبة في أن أخالفك.

" ربما لا تكون قبيحة إلى حد كبير؛ لكني أستاء منها وطلبت منك أن تتوقفي عنها. "

" وما الذي يجعلك تستاء منها إلى هذا الحد؟ "

" لا داعي لكن يكون هناك سبب محدد. فليس هناك من داع لأن تلمسيها. إنها عادة سيئة وعليك أن تتوقفي عنها ".

" لم أقل إنني لن أتجنبها ".

" عندما تلمسين الشامة دائما ما تبدو تعبيرات وجهك ملتبسة لدرجة تدعو للدهشة. وتلك الملامح أراك من خلالها بائسة ".

" بائسة.....؟ "

شعرت من أعماق قلبي أن "ربما كنت محقا " في بعض الأمر فأومأت لك.

" إذا ما لمستها بعد الآن فلك أن تضربني على يدي أو تصفعني على وجهي ".

" فهمت. لكن: " ألا تشعرين بالخجل لأنك لم تتمكني من التوقف بنفسك عن مثل تلك العادة البسيطة رغم محاولات دامت عامين أوثلاثة؟!

لم أنطق بكلمة وقد شغلتني كلمة "بائسة" التي قلتها لي. لا شك أن هيئتي عندما ألف ذراعي من أمام صدري لألمس شامة في خلف عنقي هيئة قد تحيطها مشاعر من البؤس والوحشة. تلك الهيئة التي أكون عليها قد لا يناسب وصفها لفظ رفيع مثل "الوحدة" بل يكون الأنسب أن أصفها بالحزي والمنقصة. ربما أبدو كامرأة بغيضة تحمي ذاتها الضئيلة باستماتة. ومعك كل الحق؛ فلابد أن يكون وجهي وقتها تبدو تعبيراته ملتبسة لدرجة تدعو للدهشة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وكأنها هوة سحيقة قد انشقت بيننا - كان هذا علامة على كوننا لم نكن قد أفصحنا لبعضنا بعضا عمَّا ما يكمن في صدورنا. تلك العادة التي لازمتني منذ أن كنت فتاة صغيرة - عندما كنت ألمس الشامة بدون إدراك وأنا شاردة - لابد أن مشاعري الصادقة كانت تظهر في تعبيرات وجهي.

وإنني لأظن أن عدم اقتناعك بي هو ما جعلك تمتعض لمثل هذا العادة البسيطة التي تلازم امرأه. فلو كنت تشعر بقناعة تجاهي لنظرت إلى عادتي بابتسامة خفيفة وتغافلتها من أجلي. ومن المفزع أن راودتني أفكار بأنه قد لا يكون على وجه الأرض رجل واحد يرق لعادتي هذه؛ وكان مجرد التفكير في ذلك قد أدخل الروع في نفسي.

عندما كشفت لي قبح هذه العادة في البداية لم يكن لدي شك - ولا زلت أثق بذلك - أنه كان من منطلق مشاعرك بالحب تجاهي. لكن الأمر تدهور شيئا فشيئا؛ ليصبح هذ الأمر البسيط بذرة فاسدة نبتت في العلاقة بيننا كزوجين. وقد يكون الزوجان حقًا هما من أصبح كل منهما لا ينشغل بعادات الآخر؛ لكن ذلك أيضا إذا ما أخطأ الطريق قد يكون على النقيض مؤديًا إلى سقوط الزوجين إلى هاوية العلاقة.

لن أقول أبدًا إن اعتياد كل من الطرفين على كل ما يخص بعضهما بعضا يعني أنهما متحابان؛ ولم أقل كذلك إن المتصارعين دوما تولد الكراهية بينهما؛ لكنني مع ذلك كان يكفيني أن تغفر لي عادة لمسي للشامة؛ فكان هذا كل ما أبتغيه. لكن بالفعل أصبحت تضربني وتركلني. لم يكن الأمر يستحق أن يصل بك إلى ذلك الحد؛ فكنت أبكي وأحدث نفسي هل أستحق تلك القسوة لمجرد لمسي سهوًا لشامتي ؟!. لكن شكواي تلك لم تكن سوى ظاهر الأمر .

" ترى ما على أن أفعله لتشفي من هذا؟ "

كنت أتفهم جيدا مشاعرك وأنت تقولها بصوت مرتعش فلذلك لم أحمل في قلبي ضغينة تجاهك. إن حدثت أحدًا بهذه المعاملة منك فمن المؤكد أنه سيقول عنك



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زوج عنيف. لكن مهما كانت ضآلة السبب - في العلاقة بين زوجين - إذا ما نفد الصبر ولم يكن لأجيجه مفرغ قد يكون ضربك لي يزيل الهم عنا.

" لا أمل في أن أتركها. قيّد يدي إذًا. "

جمعت يدي مقتربتين وكأنني أتضرع إليك ومددتهما أمام صدرك؛ وكأنني بذلك أهب إليك نفسي كاملةً. أما أنت - بوجه تبدو ملامحه وقد زال عنها حدة التوتر - حللت رباط شعري وقيدت به يدي. وقد أسعدتني نظراتك لي وأنا أصلح خصلات شعري المنسدلة على وجهي بيدي المقيدتين. وظننت أنه بذلك قد تفارقني تلك العادة التي لازمتني لسنوات طوال. لكن في تلك الفترة راودتني فكرة خطيرة تمنيت أن يأتي أحد ويلمس شامتي ولو لمسة بسيطة. ورغم كل ذلك لم تفارقني تلك العادة؛ فلم يفاجئني أن ينضب معين صبرك. فقد استسلمت بعدها ذاعنًا وربما قلت في نفسك أن "افعلي ما يحلو لك".

حتى عندما كنت تراني أفرك في الشامة تتظاهر بأنك لم ترني ولم تعد تنطق بكلمة عن هذا الأمر. وإذا بالمعجزة تحدث؛ تلك العادة التي لم تفارقني بتأنيب أو تنكيل تتوقف فجأة دون أن أشعر. لم أبذل جهدًا لهذا وإنما ذهبت عني بشكل طبيعي.

" ألاحظت في الفترة الأخيرة أنني لم أعد ألمس الشامة؟! "

عندما قلت لك كذلك لأذكرك ...

" نعم "

قلتها ووجهك لا يبدو عليه أي اهتمام.

كدت أن أقول لك في غضب " إن كان الأمر لا يعني لك شيء إلى هذا الحد فلما فعلت بي ما فعلت من تعنيف؟ "؛ لكني وجدت أنك قد تريد أن تقول لي في المقابل "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما دمت تستطيعين وقف تلك العادة بكل تلك السهولة فلِمَ لم تفعلي ذلك منذ زمن؟ "، لكنك لم تكن تلق لي بالاً، وكأنك بتعبيرات وجهك تقول لي " تلك العادة - التي لا تنفع ولا تضر - لا تعني لي شيئا. فلتتحسسي شامتك ليل نهار كما يحلو لك ". فذهب عني الحماس وعزمت أن أعاندك فأتلمس شامتي أمام عينك لتراني! لكن العجب أن يدي أبت أن تمتد إلى موضع الشامة.

شعرت بغصة الوحشة. شعرت بحسرة شديدة. وحتى عندما عزمت على أن أتلمس شامتي في غير وجودك؛ ما وجدت إلا الإحباط لم أجد إلا الحزن فقد أبت يداي أن تمتد إليها. وجلست مطأطئة رأسي أعض على شفتي.....

" ماذا تريدين أن تفعلي بالشامة؟ "

وكأنني أنتظرك أن تقولها لي؛ لكن من بعد تلك المرة اختفت كلمة "الشامة" في أي حديث يدور بيننا. ومع اختفائها اختفت كذلك أشياء كثيرة أخرى من بيننا. لماذا لم أستطع أن أتخلى عن هذه العادة عندما كنت تعنفني؟! إنني حقًا امرأة لا طائل منها. وعندما عدت هذه المرة إلى قريتي ودخلت للاستحمام مع أمي.....

" لقد أصبح جسدك رديء يا "سايوكو". ما من أحد يمكنه أن يتغلب على مرور السنين ".

اندهشت لقول أمي هذا فنظرت إلى جسدي فلم أجد تغيرا عما سبق فكانت بشرتي ناعمة وبيضاء وكنت ممتلئة.

" ولم تعد الشامة رقيقة كما كانت ".

لم أقل لأمي شيئا عن قدر ما عانيت بسبب هذه الشامة حتى الآن؛ ولكن ...



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" سمعت أن الطبيب يمكنه أن يمحو الشامة بسهولة ".

" حقًا؟ الطبيب ...؟ لكن لابد وأن تترك أثرًا ".

قالت أمي دون مبالاة.

" كنا في البيت دائما نضحك كثيرًا ونحن نتحدث عنك متخيلين أنك تتحسسين شامتك حتى بعد الزواج ".

" كنت أفعل ذلك ".

" هكذا تمامًا توقعنا ! "

" إنها عادة سيئة. تُرى منذ متى وأنا أفعل .....؟ "

" لا أتذكر. الأهم من ذلك؛ تُرى متى تظهر الشامة في الجسد؟ أظن أن جسد الرضيع لا يكون به شامات ".

" ابني لم يظهر بجسده شامات بعد".

" حقًا؟ على أية حال فهي تتزايد مع مرور العمر. لكنها لا تقل أبدًا. أما في مثل هذا الحجم الكبير فهي نادرة على ما أعتقد؛ ولابد أنها قد ظهرت منذ أن كنت صغيرة جدًا ".

قالت لي أمي وهي تنظر إلى كتفي وتضحك.

في ذلك الوقت؛ ورد بخاطري أنه من الممكن أنه عندما كنت طفلة صغيرة - وبشرتي لم تزل بعد ناضرة - كانت أمي وأخواتي البنات تستهويهن تلك الشامة كموضع جذاب فكن يتلمسنها بأصابعهن. ولأنهن كن يفعلن بي هكذا بدأت أنا الأخرى أتلمسها فأصبحت عادة عندي.

واستلقيت على فراشي وأنا أتلمس شامتي؛ وحاولت أن أستعيد ذكريات الماضي عندما كنت طفلة وعندما كنت فتاة. وكنت قد لمست شامتي بعد فترة طويلة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الانقطاع لا أدري لكم عام امتدت. ولأنني في البيت الذي ولدت فيه - ولأنك لم تكن بجانبي - فكان يمكنني أن أتلمسها كيف أشاء. لكنني لم أقدر على ذلك. ما إن لمست الشامة بإصبعي حتى ذرفت عيناي دمعا باردا. ورغم أنني كنت أنوي أن أستعيد ذكريات الماضي الخاصة بي وحدي - والتي من أجلها تلمست الشامة - لم أتذكر سواك أنت.

ورغم أنني لم أكن بالزوجة السوية؛ ورغم أن مصيري قد يكون إلى الانفصال عنك؛ أن أتوجع بذكراك هنا - في فراش نومي ببيت أهلي - وأنا أتلمس شامتي؛ أمر لم يكن ليخطر لي ببال.

قلبت الوسادة التي بللتها الدموع ـــــ وبذلك جاءتني تلك الشامة حتى إلى منامي.

فتحت عيني ولم أدر بأي غرفة أكون؛ لكن في تلك الغرفة كان معي أنا وأنت امرأة أخرى لا أعرفها. ويبدو أنني قد شربت كثيرًا من الخمر فكنت ثملة إلى درجة كبيرة. وكنت أشكو دون انقطاع من شيء ما.

وفي أثناء ذلك؛ ظهرت تلك العادة البائسة. وكعادتي مددت يدي اليسرى من أمام صدري ولففتها إلى الجانب الأيمن من عنقي ـــــ وإذا بي أمسك بتلك الشامة بأطراف أصابعي وألتقطها. وكأن التقاط الشامة أمر طبيعي وجدتها بين أصابعي دون أدنى عناء. وتلك الشامة بين أطراف أصابعي كانت وكأنها قشرة لحبة فول سوداء مسلوقة. وأخذت أدفع بشامتي - التي أمسكتها بأطراف أصابعي - وأنا أبكي وأضج متوسلة إليك لتضعها بجعبة الشامات الموجودة على جانب أنفك؛ فأجذبك من أكمامك مرة وأتعلق بصدرك أخرى. وعندما فتحت عيني مستيقظة وجدت وسادتي وكانت مبتلة مرة أخرى؛ فلم تكن عيناي قد توقفت عن ذرف دمعها.

كنت أشعر بألم تسرب حتى إلى عظامي. لكني شعرت بجسدي خفيف وكأن حملاً نزل عن كتفي. وظللت أفكر وأنا أبتسم "تُرى هل حقًا قد زالت تلك الشامة"؟!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم أحاول من بعدها مطلقًا أن أتلمس موضع الشامة. وبهذا سوف أُنهي الحديث عن شامتي؛ فإحساس ملمس الشامة - الذي يشبه قشرة حبة الفول السوداء - التي أمسكته لا يزال باقيًا بأصابعي.

رغم أن شامتك الصغيرة - بجوار أنفك - لم تكن تشغل بالي على الإطلاق؛ ورغم أنني لم أتحدث عنها ولو لمرة واحدة؛ لكنها ربما كانت مدفونة في أعماقي. كم ستكون حكاية خيالية مثيرة لو أن شامتك الصغيرة تلك قد كبر حجمها فجأة بعد أن وضعت بها شامتي الكبيرة هذه. وكم سأكون سعيدة إذا ما رأيت أنت أيضًا حلمًا شامتي هذه.

هناك شيء قد أغفلته عن حلم الشامة ولم أكتبه.

من عادتي أن أتلمس الشامة وأنا مستلقية في فراشي ...

" تبدين بائسة "

كانت هذه كلماتك التي قلتها عني؛ وقد قبلتها منك بصدق على أنها دليل على مشاعر الحب حتى إنني شعرت بامتنان لك. وشعرت بالخزي لاعتقادي أن كل ما بداخلي من قبح قد يبدو على ملامحي عندما أتلمس الشامة. ولكن كما قلت لك منذ قليل؛ قد وجدت مهربا لي في اعتقادي بأن تلك العادة قد لازمتني لأن أمي وأخواتي البنات كن يتلمسن شامتي بتلطف منذ أن كنت صغيرة.

" في الماضي؛ أكنت توبخيني كثيرًا عندما كنت أتلمس شامتي؟ "

هكذا سألت أمي ...

" نعم ..... لم يكن ذلك في الماضي البعيد ".

" وما السبب الذي جعلك توبخينني على ذلك يا أمي؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" السبب؟ أليست عادة سيئة؟ "

" وبم كنت تشعرين يا أمي عندما تريني أتلمس شامتي؟ "

" بما كنت أشعر؟! "

وأمالت أمي رأسها ....

" لابد أنها مخجلة "

" هذا صحيح؛ ولكن ما المخجل بالتحديد؟ هل كنت أبدو كفتاة مسكينة قميئة عنيدة ؟ "

" وكيف هذا؟ أنا لم أفكر بها إلى هذا الحد. كان وجهك يغالبه النعاس لولا تلمسك للشامة كنت ستبدين جميلة ".

" ربما كنت أبدو سمجة؟ "

" نعم: أظن كان هناك جانب مستفز بعض الشيء ".

Telegram:@mbooks90

" يا أمي؛ ألم تكن أختي الكبرى تمازحني وأنا صغيرة فتلكزني من شامتي كثيرًا؟ "

" أظنها كانت تفعل ذلك ".

وبذلك ألا يمكن أن يكون تحسسي للشامة - في غفلة - كان اجترارًا لمشاعر الحب التي تلقيتها من أمي وأختي الكبرى في أيام طفولتي. ألا يمكن أن أكون عندما ألمس شامتي أتذكر من أحبهم. هذا ما وددت أن أخبرك به. لقد كانت نظرتك لعادتي نظرة جانبها الصواب تمامًا.

عندما كنت أتحسس شامتي وأنا بجانبك؛ ترى فيمن كنت أفكر.؟!

إلى ذاك الحد كنت تستائين مني. وبذاك الشكل المزري كنت أحاول أن أعبر لك عن حب لا تستطيع الكلمات أن تحمله إليك. تلك القناعة رسخت في خاطري الآن ولا تفارقني.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا أرى أن هناك ضرورة لتبرير أمر بسيط كعادة لمس الشامة بعد مرور كل هـذا الوقت؛ بل ما أود أن تعرفه؛ أنه ربما كان سلوك الزوجة البغيض - كما هو الحـال مـثلاً مع هذه الشامة - في بدايته تعبيرًا عن حبي لـك. لكـن لتعنيفـك النـاتج عـن خطـأ في الحكم على السلوك قد حوله ليجعل مني بالفعل زوجة بغيضة.

أكتب هذا وأنا أعلم أن مضمونه ليس إلا زوجة بغيضة تسرد كمد نرجسيتها؛ لكنني أردت أن تعرفه.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"٤"

# نرْد المســاء



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## (١)

عندما نزل بأحد المنافذ البحرية أثناء تجواله في رحلة للعروض الفنية؛ كانت غرفة "ميزوتا" لا يفصلها عن تلك الغرفة التي تنام بها الراقصات سوى باب واحد جرار ورقي.

ويبدو أن ذروة المد في مياه البحر شديدة فكان يسمع صوت ارتطام مياه البحر بكاسر الأمواج؛ كما يسمع وقع خطوات متمهلة على الطريق المرصوف بالحجر؛ ربما تكون لبحارة يعودون إلى سفنهم. تلك الأصوات كانت تحمل عبقًا من الماضي فكانت تُشعره بالارتياح؛ أما ما يمنعه من أن يستغرق في نومه - منذ فترة - فكان ذلك الصوت من الغرفة المجاورة.

كان الصوت لشيء ما صغير يُلقى فوق الحصير ـــــ وكان الصوت يصدر متواصلا وبين المرة والأخرى فترات زمنية متساوية؛ واستمر ذلك لمدة ساعة أخرى برتابة. ذلك الشيء الذي يُلقى أحيانًا ما يتوقف بالموضع الذي سقط به وأحيانًا ما يتدحرج قليلاً فوق الحصير. فكر "ميزوتا" فيما عساه يكون ذلك الشيء؛ لكنه - بالطبع - فطن على الفور بأنه زَهْر النَّرْد.

قد تكون الراقصات يلعبن للهو؛ أو قد يتراهن على قليل من المال. لكنه لم يكن يسمع صوت حديث؛ كما كان يسمع أصوات غطيط نوم من الغرفة.

كانت الفتاة التي تلقي بزهر النرد مستيقظة وحدها؛ ونور الغرفة مضاء. كان أربعة أو خمسة رجال آخرون بغرفة "ميزوتا" هم أيضا مستغرقون في النوم. بدأ صوت النرد يثير حفيظة "ميزوتا" شيئا فشيئا. حاول أن يصبر عليه آملاً ألا يستمر طويلاً؛ لكن لم يجد له نهاية. ربما لا يكون للنرد نفسه صوت وقد يكون الأصوب القول بأنه صوت الحصير؛ كان صوتًا مقيتًا يبعث الكآبة في النفس.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووصل به الحال إلى أن شعر وكأن ذلك النرد يُلقى في رأسه الذي استشاط غضبًا. وتجاوز الأمر أن صوت النرد قد التصق بأذانه فطرد النوم من عينيه؛ فتميز من الغيظ حتى شعر برغبة في أن يصرخ. ولم يكن إيقاع إلقاء النرد بالسريع ولم يكن بالبطيء؛ فكان دائما يحتفظ بفترات زمنية متساوية بين المرة والأخرى.

نهض "ميزوتا" من فراشه وفتح الباب الجرار.

" أهذا أنت يا "ميتشيكو"؟ "

التفتت إليه "ميتشيكو" وهي مضطجعة على بطنها. وكان على وجهها ابتسامة لم تكتمل من فرط نعاس غالبها. كانت تقلب النرد على راحة يديها اليمنى في حركة غير إرادية حتى إنها تبدو وكأنها لا تشعر بوجوده في يدها

فقال "ميزوتا" وقد ثبطت همته....

" عم تنجمين؟ "

" أُنجّم ....؟ أنا لا أنجم عن شيء ".

" إذًا ماذا تفعلين؟ "

" لا شيء ..... "

اقترب "ميزوتا" إلى وسادة "ميتشيكو".

غطت "ميتشيكو" وجهها بكفيها فبرزت عظام كتفيها قليلا. لكنها في الحال فركت جفنيها بأطراف أصابعها ثم أزاحت خصلات شعرها من على وجنتها اليسرى إلى خلف أذنها. لاحظ أذنيها النحيفتين وقال لها "ميزوتا" في هدوء:

" إن الجميع مستغرقون في نوم عميق ".

" نعم ".

" لِمَ تستمرين في إلقاء ذلك النرد دون توقف؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لا يوجد سبب مهم ".

" لكن هذا .... أمر عجيب ! "

التقطت "ميتشيكو" شيئا كان بجوار الوسادة - وفي صمت - فتحت راحة يدها أمامه

كان على راحتها خمس زهرات نرد.

" ما هذا؟ "!!!

اندهش "ميزوتا" وجلس على ركبتيه.

كانت الزهرات جميعها تبدو مصنوعة ربما من عظام حيوانات متشابهة. وكانت مُغرقة في القدم حتى بدا على لونها آثار ملمس الأصابع. فالتقط "ميزوتا" واحدة من راحة يد "ميتشيكو".

بدت يد "ميتشيكو" - التي تبقى فوق راحتها أربع زهرات من النرد - بدت له أصابعها الطويلة رائعة الجمال. تلك الأصابع التي تتحرك في ليونة عندما ترقص على المسرح. تبادرت صورتها في ذلك المشهد أيضا إلى ذهن "ميزوتا".

" معك خمس ! ماذا تفعلين بكل هذا؟ "

وأعاد "ميزوتا" زهرة النرد إلى "ميتشيكو".

رمت "ميتشيكو" واحدة من النرد؛ فتوقفت عند الرقم ثلاثة.

" كفاك! الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا ".

" نعم ".

أومأت "ميتشيكو" برأسها ورمت النرد مرة أخرى فتوقف عند الرقم واحد.

" منذ فترة وأنا لا أستطيع أن أنام بسبب هذا الصوت ".

" حقًا ! أنا آسفة. أود أن أصل إلى العدد عشرة آلاف .... "

" عشرة آلاف؟ "

" نعم؛ لا أستطيع أن أصل إليه بسهولة ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبدو أنها تلقي النرد وتجمع الأرقام التي يتوقف عندها ثم تجمعها إلى أن تصل إلى العدد عشرة آلاف. لكن حتى إذا ما توقف النرد في كل مرة عند أكبر رقم - وهو ست - فيجب أن تلقيه ألف مرة ليكون مجموعها ستة آلاف. شعر "ميزوتا" بالضجر وقال لها:

" هل من شيء حسن قد يحدث إذا ما وصلت إلى العدد عشرة آلاف؟ "

" لم أفكر في شيء من هذا القبيل ".

" إن لم يكن لك غرض مما تفعلين أفلا يكون هذا سفها؟! "

" نعم ".

لكن "ميتشيكو" استمرت في رمي النرد.

" قلت لك كُفي عن هذا ... "

اختلست "ميتشيكو" نظرة إلى "ميزوتا" ثم لصقت جبهتها بالوسادة وبقت ساكنة.

" يا لك من حمقاء ! "

ألقى عليها "ميزوتا" كلماته وعاد إلى فراشه بالغرفة المجاورة.

لكن "ميتشيكو" لم تطفئ النور؛ ولم تكتفِ بذلك بل عندما تلصص "ميزوتا" بسمعه إلى الغرفة المجاورة لم يسمع صوتًا لكنه شعر بها وكأنها استمرت في إلقاء النرد ولكن فوق فراش نومها.

## (٢)

في صباح اليوم التالي؛ حدَّث "ميزوتا" عن أمر نرد "ميتشيكو" إلى أكبر المجموعة سنا، وهي ممثلة تدعى "سِنكو"....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ..... حقًا إنها فتاة غريبة؛ لم أستطع أن أنام بسببها ".

قالت "سِنكو" في غير اكتراث :

" صحيح. ألم تكن تعلم حتى الآن؟ ذلك النرد قد تركته لها أمها. وهي دائما ما تقلبه في يدها بغرفة الملابس ".

" أهذا صحيح ؟! "

" لقد اعتاد الجميع ذلك ولم يعد ينشغل بها أحد ".

" لا أصدق. إنها غير طبيعية حتى تحضر خمس زهرات من النرد معها في مثل هذه الجولة. وما قصة ترك أمها لها هذه الأشياء؟ "

بدأت "سِنكو" تروي له القصة.....

_____ وكان "ميزوتا" يعلم أن أم "ميتشيكو" من فتيات "الغيشا"[٩]. وقد أصبح لديها الآن بيت متواضع وعندها فتاة أو اثنتين؛ لكنها في منطقة من الدرجة الثالثة وفوق ذلك لم تكن من فتيات الغيشا البارعات. وكانت عندما تذهب إلى أي مجلس دائما ما تضع زهرتين أو ثلاث من النرد في ثنايا النِطاق الذي تربطه على خصرها. ويقال إنها حتى أثناء شرب الخمر كانت تقلب النرد في يدها.

ويقال أيضا إنها كانت عندما تحل نطاقها تتساقط منه زهرات النرد الواحدة تلو الأخرى. وربما كانت تفعلها عن قصد؛ حتى تثير فضول الآخرين فتدعي الاندهاش ثم تلتقط زهرات النرد وتقلبها في يدها وتلقيها أمامهم. وما من أحد لا يستهويه هذا اللهو. وهذا الأمر رغم ضآلته فإن استمراره لسنوات طوال جعل منه خطبا جللا.

Telegram:@mbooks90

---

(٩) فتاة "الغيشا" تمثل أبرز الفنون اليابانية التقليدية، وهي فتاة ترتدي الزي الياباني التقليدي وتضع مستحضرات تجميل خاصة وتقوم بأداء الفنون التقليدية من رقص وغناء في مجالس تقدم فيها الأطعمة والمشروبات لرواد بيوت الغيشا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُقال إن فتاة الغيشا تلك كانت بارعة في زهر النرد؛ فيقولون إنها كانت تستطيع أن تأتي بالرقم الذي تريده - كيف تشاء - عندما تلقي الزهر. ولكي تصل إلى هذا القدر من البراعة لزمها تدريب مُضْنٍ لسنوات فكانت تلقي بالزهر كلما سنحت لها الفرصة. وعندما سمع "ميزوتا" هذا الحديث رأى أن ما كانت تفعله وسيلة ماكرة تتصيد بها جوانب الضعف عند الآخرين وتستهدف بها خباياهم. هي بما تفعله هذا وكأنها تتفحص بواطن نعال الآخرين. إنها وسيلة دنيئة لتصل بها إلى أطماعها؛ ولا ترضى بهذه الوسيلة إلا إذا رضيت بنفسها أن تكون فتاة غيشا هوت إلى أدنى درجات الوضاعة. لكن؛ ترى هل كان ما تفعله مجرد أطماع؟

وفكر "ميزوتا" في الأمر مليًا وقال في نفسه "حتى ولو كان مجرد إلقاء النرد؛ إلا أن وصولها لدرجة البراعة فيه يعني أنه قد يكون وراءه شيء من الفرح أو شيء من الحزن ويتجاوز كونه مجرد أطماع". وإن لم يكن الأمر كذلك فما كانت حتى ابنتها "ميتشيكو" تتعلق بالنرد إلى هذا الحد.

" تُرى بم تشعر "ميتشيكو" وهي تُلقي النرد ؟ "

"ميزوتا" يسأل "سِنكو"..

" وما أدراني بهذا؟ ربما هي تُقلد فحسب".

" هل "ميتشيكو" أيضا بارعة؟ "

" إنها بارعة ".

" وهل تراهن به؟ "

" لا أعتقد ذلك. فالآخرون قد ملوا رؤية ذلك فلم يعد أحد يلقي لها بالاً. لذلك فهي تفعل ما تفعل لنفسها فقط ".

" لنفسها فقط ؟ "

قال "ميزوتا" وكأنه يحدث نفسه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الأغلب إن "ميتشيكو" لم تكن ترغب في أن يعلم الآخرون تلك الأمور عن أمها فما بالها لا تجتنب أعين الناس وهي ترمي النرد ليذكرهم بأمها. لكن "ميتكو" لم تكن تعير اهتمامًا كبيرًا بنرد "ميتشيكو".

نهض "ميزوتا" ليذهب إلى دورة المياه؛ وكانت هناك فتاة قد خرجت منها قبله بقليل. عندما جلست الفتاة الفرفصاء وهي ترتدي نعلها التقطت نعل "ميزوتا" الذي خلعه في الممر فرتبته ووجهته في اتجاه الخروج من دورة المياه. ومن ظهرها عرف أنها "ميتشيكو"؛ فرأى "ميزوتا" كم تنتبه إلى دقائق الأمور.

أربع أو خمس فتيات - من الراقصات - كُن يجلسن على جُرُف صخري متغلغل بالبحر وكأنه قناة مائية.

" يا له من جو دافئ. أشعر برغبة في أكل المثلجات ".

سمعهن "ميزوتا" يتحدثن وهو في الطابق الثاني. وكان الوقت لازال مبكرًا لتفتح أزهار "الساكورا"[١٠] لكن السماء كانت تميل إلى الضبابية كتلك التي تصاحب موسم الساكورا وكان البحر كذلك غائمًا؛ وطيور البحر البيضاء بدت كأنها تطفو فوق الأبخرة الرقيقة. فنزل "ميزوتا" ليذهب إلى حيث تجلس الفتيات. وفي صمت مد يده إلى "ميتشيكو". وهي بدورها فطنت لما يريد فأخرجت زهرات النرد الخمس من جيبها وأعطتها له.

قلّب "ميزوتا" الزهرات بيده ثم ألقى بها مرة واحدة فوق صخور الجرف. فسقطت من بينها اثنتان إلى مياه البحر. ثم أخذ الزهرات الثلاث التي تبقت وألقى بها إلى مياه البحر دون أن يكترث.

---

(١٠) أزهار شجرة الكرز وهي أزهار يعشقها اليابانيون وتتفتح بدء من شهر فبراير تدريجيا من جنوب اليابان إلى شمالها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"يا ويحي!"

قالت "ميتشيكو" وقد ذهبت إلى حافة الجرف وهي تنظر إلى أعماق مياه البحر؛ ولم تنطق بكلمة بعدها.

داهمته الدهشة لأنه ظن أنها قد تأسف أكثر أو تغضب لما فعل. ذهبت الفتيات إلى المبنى الصغير - المعد للعروض - وبقى "ميزوتا" بالطابق الثاني من الفندق. وبينما ينظر إلى مياه ذلك البحر - الذي يبدو كقناة - حيث سقطت زهرات النرد؛ شعر فجأة بشجى المسافر وراودته الأفكار حتى فكر في أن يزور - "غيشا النرد" - أم "ميتشيكو" بعد أن يعود إلى طوكيو. وكانت السفن التي ترسو في الميناء قد أضاءت مصابيحها.

## (٣)

استمرت الرحلة نحو الشهر.

وأثناء الرحلة؛ اصطحب "ميزوتا" الفتيات - ذات مرة - إلى تل بإحدى المدن. وكانت الفتيات يتخطفن "دانغو"(١١) الزهور" و"توفو"(١٢)" - المُغلف بالميسو(١٣) وأوراق براعم الربيع - ليأكلنه. وهؤلاء الفتيات عندما يجتمعن يكن أكثر هوجائية فالتزم "ميزوتا" الصمت. وشعر بالخجل لأنه لم يكن هناك ضمان بألا يكون من بين رواد المكان من شاهد عروض رقص الفتيات بالمسرح.

كانت أزهار "الساكورا" قد تساقط أغلبها؛ وحتى تلك التي بقيت على أغصان الأشجار - وقد تساقطت عن كأسها الأوراق وبات ميسمها عاريًا - كانت ذابلة. لكن رواد المكان كانوا كثرًا؛ ولم تكن الفتيات يعبأن بمن حولهن رغم أن الجميع كانوا

---

(١١) "حلوى يابانية تقليدية مستديرة مصنوعة من دقيق الأرز؛ تُحضر في أسياخ خشبية وتُقدم مع الشاي الأخضر. و"دانغو الزهور" هي نوع من "الدانغو" يُقدم في موسم تفتح أزهار الساكورا.

(١٢) طعام ياباني يشبه "الجبن" مصنوع من حليب الصويا.

(١٣) نوع من التوابل اليابانية يحضر من تخمير الصويا ويستخدم في تحضير الحساء الياباني التقليدي "حساء الميسو".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحدقون النظر فيهن؛ فكن يلعقن شفاههن بعد أن يأكلن "توفو الميسو" ثم يضعن أحمر الشفاه. و"ميتشيكو" أيضًا استخدمت أحمر الشفاه؛ لكنها قبل أن تضعه كانت تبرز شفتيها مستديرة قليلا إلى الأمام؛ وكانت شفتاها بدون المستحضرات تبدو رقيقة.

نهض "ميزوتا" - وكأنه وجد ما لم يكن يخطر له ببال - واقترب من "ميتشيكو"، كان أنفها الدقيق - لم يكن بلفت انتباه - لكنه بدا جميل الشكل عندما نظر إليه عن قرب. رأى أنفها وكأنه منحوت بيدين فاض منهما مشاعر من الحب الصادق؛ ولأنها كانت معتادة أن تضع مستحضرات التجميل على مرأى من الآخرين؛ لم يبد عليها الخجل. لكن "ميزوتا" أدهشه أن يجدها تجلس وسط الأشجار نفس جلستها في غرفة الملابس وهي تضع مستحضرات التجميل. ذلك الوجه المستدير - بتلك الشفاه وذلك الأنف - وجفنان أسبلتهما لتنظر إلى مرآة صغيرة في راحة يدها؛ كان يثير لدى من يراه شعورًا عذبًا بالنعاس. ولم تكن "ميتشكو" لافتة للانتباه على المسرح لكن "ميزوتا" انتبه إلى قدر من الجمال لم يكن قد رآه من قبل.

باغتها "ميزوتا" قائلاً:

" لقد عجزت أن أفهم أي نوع من الفتيات أنت يا "ميتشيكو". "

" ويحي ! ولِمَ.....؟ "

رفعت "ميتشيكو" رأسها

" أنت ملتزمة الصمت دائمًا. فأنت لا تبادرين بالحديث أبدًا حتى يخاطبك الآخرون؟ "

" هل أنا كذلك ؟! أنا لا أرى هذا حقيقيًا ".

" على سبيل المثال؛ أنت لا تتحدثين معي إلا عندما تجيبين عما أسألك فقط. أنت حقًا إنسانة عجيبة. "

بدت "ميتشيكو" وكأنها تفكر في حالها إلا أنها لم تنطق بكلمة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان أحمر الشفاه الذي تستخدمه "ميتشيكو" من مستحضرات التجميل الخاصة بالمسرح فكان يبدو لامعا أكثر من المستحضرات المعتادة؛ ولذلك تذكر "ميزوتا". فهناك دكان بمنطقة "أساكوسا"[١٤] يبيع مستحضرات التجميل الخاصة بالمسرح وذهبت الفتيات للشراء استعدادا للرحلة؛ أما "ميتشيكو" فلم تتجهز بشكل كاف وكانت تستخدم مستحضرات زميلاتها منذ بداية الرحلة؛ وقد أفصحت إحدى زميلاتها عن امتعاضها من ذلك.

" هناك حقل لزهور "الكانولا"[١٥] "

قال "ميزوتا" وهو ينظر إلى الجانب الآخر من النهر أسفل التل.

" حقًا !. أنا أعشق زهور "الكانولا". "

" وكيف هذا؟ كيف لك يا "ميتشيكو" أن تعرفي الاشتياق لحقول أزهار "الكانولا" وأنت قد نشأت في طوكيو؟ "

" أنا حقا أشتاق إليها. لكن تلك الزهور عندما نضعها في المزهرية يجب ألا تكون كثيرة؛ فالأعداد القليلة تكون أفضل ".

" حقًا؟! ..... أترغبين في أن نذهب إلى هناك؟ "

أومأت "ميتشيكو".

فكر "ميزوتا" في أنه - عند مرورهما بالسوق - قد يجعلها تشتري لنفسها بعض مستحضرات التجميل. فقد رأى - إن لم يكن لمستلزمات المسرح - أن ذلك أفضل من أن تستخدم مستحضرات الآخرين.

" سوف أترككم قليلا لأذهب إلى مكان قريب. " ومعي "ميتشيكو"

---

(١٤) أحد أحياء طوكيو القديمة به العديد من المعالم الدينية البوذية والمحلات التي تبيع السلع اليابانية التقليدية.

(١٥) زهرة اللفت الصفراء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال "ميزوتا" موجها حديثه إلى الفتيات.

" لا تتأخرا؛ وعودا في وقت مناسب "

" وإلى أين تذهبان؟ خذاني معكما".

فنهضت أخرى ولكنها سرعان ما عادت لتجلس مرة أخرى وهي تنظر إليهما. وكانت علامات الدهشة على وجه "ميتشيكو" نفسها أوضح مما كانت على وجه الفتيات الأخريات؛ وتجمدت في مكانها وهي واقفة وقد صبغ وجهها الحمرة. لم يعبأ بهن "ميزوتا" وسار في طريقه يهبط المنحدر. وتبعته "ميتشيكو".

" هل أنت جاد؟ "

" نعم ".

شعرت "ميتشيكو" ببعض الضيق ومشت في طريقها مطأطئة الرأس.

Telegram:@mbooks90

" أرأيتِ؛ ها أنت صامتة إلى النهاية إذا لم أحدثك".

" لا؛ ليس الأمر كذلك".

ما إن هزت رأسها نافية ما قاله حتى تبسمت وبدت عليها بهجة مفاجئة.

في الشارع التجاري وجد دكانا لبيع الخردوات فقال لها "ميزوتا" ...

" هيا ! اشترِ من هنا مستحضرات التجميل اللازمة للمسرح".

اندهشت "ميتشيكو" ونظرت إلى "ميزوتا" وفي عينيها مقاومة في ردة فعل عفوية. فقال لها "ميزوتا" بوضوح تام.....

" استخدامك لأدوات الآخرين؛ سوف يجعلهم يأنفونك ".

أومأت "ميتشيكو" ولكنها كانت تتسوق دون أن يبدو عليها الارتياح فأراد "ميزوتا" أن يُلطِّف لها الأمر ....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" انظري يا "ميتشيكو" هذا زهر النرد ".

" يا إلهي ! إنه هو! "

قالت "ميتشيكو" بصوت تعلوه البهجة

" أعطني نردا من فضلك. سوف آخذ خمسا ".

" خمس؟ ليس لدي سوى ما هو معروض هنا. إنهما اثنتان ".

قال لها البائع وهو يتجه إلى حيث يوجد النرد.

" سوف آخذ الاثنتين "

ومن هناك خرجا إلى شاطئ النهر. الطريق أعلى النهر كان ممهدا وكانه ممشى وعلى جانبيه تصطف أشجار الصنوبر؛ وكان الزائرون متناثرين هنا وهناك فوق عشب الربيع النضر على شاطئ النهر.

" بعد رصف طريق هذا الشاطئ؛ تدهور السلوك العام. هكذا قالت خادمة الفندق. "

قال "ميزوتا" وهو يضحك ثم انحدر سيرا إلى شاطئ النهر.

كانت المساحة العرضية الفسيحة للنهر أغلبها من الأرض العشبية والسهل المرصوف بالحصى؛ أما المياه فكانت قليلة. ذهب "ميزوتا" إلى مكان المياه وجلس إلى صخرة كبيرة. وعلى الفور قلبت "ميتشيكو" النرد في كفها وألقته فوق الصخرة. وكانت المياه الضحلة تتلألأ في شمس الظهيرة؛ و ظل "ميزوتا" يتأمل تحركات يد "ميتشيكو" ثم قال لها:

" نجمي لي شيئا ".

" عمَّ تريدني أن أنجم؟ "

" عن أي شيء ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وكيف هذا؟.... عليك أن تخبرني بما تريد أن أنجم حوله وأنا سوف آتي لك بأخبار جيدة عما تريد."

" حسنًا.... إذًا؛ إذا أتيتِ بالرقم "واحد" فسيعني هذا أن يقع الغرام بيني وبينك. "

" لا؛ لا. لا تقل هذا ".

وهزت "ميتشيكو" رأسها رافضة وهي تضحك.

" لا أوافقك. فأنا أستطيع أن آتي بالرقم "واحد" إن أردت ذلك".

" ائت به ولا تشغلي بالك ".

" لا تقل ذلك ".

قالتها "ميتشيكو" بحزم؛ لكنها استدارت وجلست القرفصاء واقتربت بوجهها من الصخرة حتى كادت تلمسها وأخذت تنفخ فيها. كانت تزيل الأتربة والرمال من عليها. ثم ظلت تمسح بيديها بجد على سطح الصخرة.

" أرى أنها لن تنجح؛ يجب أن تكون فوق الحصير. فتموج السطح يختلف .... "

ضحك "ميزوتا" من قولها "تموج السطح يختلف"؛ لكن نظراتها الصادقة وهي تقلب النرد في كفها قد مست قلبه.

ضبطت "ميتشيكو" أنفاسها ثم ألقت النرد.

" أرأيت ! "

ونظرت إلى "ميزوتا" بعينين لامعتين.

كانت زهرتا النرد على الصخرة وكلتاهما مستقرتان على الرقم "واحد" بشكل رائع.

" ما هذا ! أنت بارعة ! "

بدت "ميتشيكو" وقد غمرتها فرحة روحانية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ما أبرعك ! افعلي ذلك مرة أخرى؟ "

" مرة أخرى.....؟ "

تمتمت "ميتشيكو" بصوت غلفه الإحباط ثم عادت تتلمس سطح الصخرة بأطراف أصابعها وهي تقول.....

" ترى هل أستطيع أن أنجح مرة أخرى.....؟ لا أحب أن أفعلها ".

كانت أشعة شمس الظهيرة تتخلل أذن "ميتشيكو" الرقيقة.

(٤)

في الفندق - بالمدينة التالية لرحلة العرض - رأى "ميتشيكو" وهي تقلب النرد في كفها ثم تلقيه؛ وإذا بزهرات النرد قد أصبحن خمسا.

" هل تستطيعين إلقاء الخمس في آن واحد لتقف كلها عند الرقم "واحد"؟ "

سألها "ميزوتا".

" لا أريد أن أفعل. وأنت يا سيد "ميزوتا" دائما ما تطلب مني أن ألقي أكثر من مرة..... "

كانت "ميتشيكو" تضع وسادة عند خصرها ومستلقية على بطنها.

" هل تستطيعين أن تفعليها بخمس زهرات؟ "

" لا أستطيع ".

أمسكت "ميتشيكو" بالزهرات الخمس - وهي لا تبدو مهتمة - وألقتها. الزهرات التي ألقتها دون أن تغمرها بعزيمة أو عاطفة جاءت جميعها بأرقام عشوائية متناثرة على الأرض. وما إن رأت زهرات النرد حتى فترت همتها فلفت ذراعيها بشكل دائري على الأرض ودفنت رأسها بين ذراعيها وهي تقول:

" أشعر بالنعاس "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تكن ترتدي جوربا في قدميها. وفي صورة تبدو كإرهاق أصابها من مشقة رحلة العرض كشفت تنورتها عن ربلة ساقها. بدت ربلتها تميل إلى الصلابة وأناملها قد أخذت شكلا غير الطبيعي من أثر الرقص - الياباني التقليدي - على أطراف الأنامل. صوت طبول تراتيل "سوترا اللوتس"[١٦] تأتي من بعيد. جمع "ميزوتا" زهرات النرد المبعثرة على الأرض دون أن يغير الأرقام التي وقفت عليها ثم قلبها في كفه وألقى بها.

رفعت "ميتشيكو" رأسها وهي تنظر شاردة؛ ثم التقطت واحدة من الزهر وألقت بها فوقفت الزهرة عند الرقم "واحد"؛ ثم أخذت واحدة أخرى وألقت بها فوقفت أيضا عند الرقم "واحد". ثم أخذت الثلاث الأخريات الواحدة تلو الأخرى وألقت بهم فتوقفت جميعها عند الرقم "واحد". بعد أن توقفت الزهرات الخمس عند الرقم "واحد" جمعتها كلها بأطراف أصابع يديها بجوار بعضها بعضًا في صف واحد؛ وكأنها طفل لا يجد ما يفعله فأخذ يضع لعبه بعضها فوق بعضها.

من الممر خارج الغرف كانت "توكيكو" - إحدى الراقصات - تنظر إلى أسطح المباني بالمدينة .....

" يا له من جو رائع؛ سأغسل الملابس الآن ".

ثم نهضت ....

" يا سيد "ميزوتا"؛ دعني أغسل لك ملابسك. أعطني إياها ".

" ماذا؟؟؟ "

" لا أحب ذلك؛ لكنني سوف أغسلها لك. أعطني إياها ".

" لا داعي. ليس لدي شيء ".

" ما أسعدك إن لم يكن لديك. ظننت أنك في مأزق فأردت أن أساعدك ولكن..... "

---

(١٦) أحد أهم الكتب البوذية المقدسة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قالت "توكيكو" وهي تفتح صندوقًا كبيرًا في ركن من الغرفة:

" يا سيد "ميزونا"، اذهب إلى الجانب الآخر."

" حاضر. "

قامت "ميتشيكو" من رقدتها؛ - ويبدو أنها قررت أن تغسل الملابس بعد أن رأت "توكيكو" - ثم مدت يدها إلى "ميزونا"......

" قلت ليس لدي شيء! "

أجابها "ميزونا" وهو يهز رأسه نافيا.

"ميزونا" الرجل الأعزب؛ كان يلف سراويله الداخلية في أوراق الجرائد ويلقيها في القمامة أثناء تجواله في الرحلة؛ وقد أدهشه أن تعرض عليه الفتيات من الراقصات أن يغسلن له ملابسه. وكما لو كان غسل الملابس عدوى انتقلت للأخريات؛ سمع صوتا خفيضا لغناء جماعي من أربع أو خمس فتيات يغسلن الملابس في حوض غسيل الوجه بالحمام. وكان "ميزونا" مستلقيا على الأرض في الممر تحت أشعة الشمس وقد أطبق جفنيه فجعله صوت الغناء يشعر وكأنه في "أساكوسا". وربما أثار في داخله شعورا بطول السفر والترحال.

في تلك الليلة؛ لم تظهر الممثلة "يسنكو" في غرفة الملابس حتى بعد حلول موعد رفع الستار. كما تغيب أيضًا أحد الممثلين الشبان. أخذ "ميزونا" ومن معه ينظرون إلى وجوه بعضهم بعضا؛ ثم أرسلوا أحدهم على عجل إلى محل إقامة الفرقة. وبالطبع لم يجد حتى أمتعة "يسنكو". وعندما تساءلوا فيما بينهم لم يقل أحد منهم إنه لاحظ أية علاقة غريبة بين "يسنكو" وذلك الممثل الشاب.

وكانت "يسنكو" متزوجة من رجل في "أساكوسا"؛ وهو رجل معروف بوجه تغلب عليه ملامح الشر. وقد نفد صبر "يسنكو" من أفعاله لكن رحيلها عنه لم يكن

بالأمر الهين. ربما كان الممثل الشاب ليس سوى رفيق لرحلة الهرب. ومن الممكن أن يكون زوجها هذا قد تعاقد مع فرقة أخرى لتعمل بها "سِنكو" لذلك أرسل لها لكي تعود. أو أن "سِنكو" قد قررت أن تفترق عن زوجها فانتهزت فرصة وجودها في رحلة العرض لكي تهرب إلى المنطقة الغربية بعيدا عنه.

لكن على أية حال لا شك أن "سِنكو" وجدت أن حفل هذه الليلة هو التوقيت المناسب لأن تضع حد النهاية وترحل؛ من عملوا مع "سِنكو" لفترة طويلة كانوا يدركون ذلك؛ وكان الجميع وإن بدا عليهم ما أرادوا إخفاءه لم يبد أي منهم رغبة في الحديث. وكان الأهم من ذلك أن غياب "سِنكو" عن العرض في هذه الليلة أحدث فراغًا كبيرًا وكان شغلهم الشاغل هو إيجاد بديلٍ لها فماج المكان بحيوية جوفاء.

ذهب "توموماتسو" مدير الفرقة إلى متعهد الحفلات في المنطقة ليعتذر منه. تفهم الرجل الأمر على الفور لكنه طلب منه أن يصطحب الفتيات ليقيم لهن ولرفاقه حفل ترحيب. وما كان ذلك إلا لرغبة منه أن يجعل الفتيات يخدمن في المجلس كي يلهو هو ورفاقه.

بعد أن اصطحب "توموماتسو" الفتيات وخرجوا إلى المطعم؛ دخل "ميزوتا" - الذي عاد متأخرًا - إلى غرفة الملابس ونظر بداخلها. كان المسئول عن غرفة الملابس وأدوات العرض يرتب الملابس التي خلعتها الفتيات وألقين بها هنا وهناك؛ وهي متأفف.....

" لا فائدة؛ شيئا فشيئا أصبح الإهمال هو السائد. حقًا الفطن لابد وأن يفكر في أن يهرب من هنا ".

قال معبرًا عن تذمره لـ "ميزوتا".

" ها هي الأحذية قد عششت بداخلها الديدان ! كم هم مرحون!! "

قال وهو يلتقط أحذية الرقص ويقذف بها إلى ركن الغرفة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبدو أن "ميتشيكو" قد استبدلت ملابسها قبل أن تخرج؛ فكان رداؤها بين ملابس الرقص المعلقة على الحائط. ومد "ميزوتا" يده في جيب ردائها؛ فوجد زهرات النرد.

" إنها ليست مثل أمها؛ فهي تذهب إلى "مجالس الشراب" وتنسى زهرات النرد. "

هكذا همس "ميزوتا" في نفسه بذلك المزاح الغث وهو يمسك بزهرات النرد ويلقي بها على الأرض.

يا له من حصير قذر. طاف ببصره داخل الغرفة وكأنه يراها لأول مرة. كانت كمكان خرب امتلأ بأزياء زاهية الألوان فبدت له غريبة كقشور خاوية من أي محتوى.

وعاد "ميزوتا" ليلقي بزهرات النرد.

" هل تلقي النرد؟ "

دخل الممثل "هاناأوكا" متمتمًا .... وظل واقفًا ينظر إليه لبعض الوقت.

" كف عن تلك الأفعال البائسة ! "

" هل هذه بائسة؟ "

" أعتقد ذلك. أم أنك تقامر؟ "

" ليس لدي مانع؛ لكن علام ماذا نتراهن .....؟ "

" لا أدري. ما رأيك في "ميتشيكو"؟ "

رفع "ميزوتا" رأسه في حركة انفعالية ووجه يعلوه الغضب

" لا بأس. لكن على أن تكون "ميتشيكو" هي من يلقي النرد ".

" ماذا؟! هل تمازحني؟.. دعك من هذا الأمر وقدم لي كأسًا. فلسوء حظي أنا رجل ولم يقدم لي أحد الدعوة للشراب. فلنجعله وقتا من أمسيات الربيع الزاهية ".

وضع "ميزوتا" زهرات النرد في جيبه ونهض.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## (٥)

في حانة صغيرة؛ وبعد فترة من الجدال بين "هاناأوكا" و "ميزوتا"....

" قل لي يا سيد "ميزوتا"؛ ما رأيك في "ميتشيكو"؟ "

" رأيي فِيمَ؟ "

" لا شيء بالتحديد؛ لكني أرى أن تلك الفتاة غريبة الأطوار ".

" ربما بعض الشيء ..... "

" أعتقد أنها ربما قد تعرضت لأذى - جنسي- في طفولتها".

" ماذا؟ "

ارتعد "ميزوتا" ونظر في وجه "هاناأوكا".

فقال "هاناأوكا" وكأنه يقذف الكلمات من فمه

" أنا أشعر بعاطفة تجاه تلك الفتاة؛ لذلك فإنني دائمًا ما أدقق النظر إليها خلسةً ".

" تدقق النظر ! ما الذي تقول !. لا تتحدث بذلك الهراء. "

" لا أتحدث. أنا لم أحدث أحدًا بهذا حتى هذه الليلة. ولكني أحدثك أنت فقط يا سيد "ميزوتا" ولا أحد سواك؛ ولأننا هنا تحت هذه السماء في ترحالنا؛ أبوح إليك بشكوكي لأول مرة. لكن قل لي أنت يا سيد "ميزوتا"؛ هل وجدت تفسيرًا للغز "ميتشيكو"؟ "

" أنا لا أجد لغزًا بالأساس ".

" لم تجد؟ "

تفحص "هاناأوكا" تعبيرات وجه "ميزوتا"؛ أما"ميزوتا" فواصل تجرع خمرٍ من المشروبات القوية. ثم التصق "هاناأوكا" به وقال وهو يهز كتف "ميزوتا" بيده

" إذًا فلنقل إنه لا يوجد لغز. لكن لي عندك رجاء لن أنساه لك مدى الحياة؛ أريدك أن تجعلها مبهجة ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" فهمت "

" أن تكون مبهجة ..... فإذا منحتها دورًا مميزًا في العروض وأصبحت مصدرًا للبهجة؛ أعتقد أنني - في ذلك الوقت - ربما أستطيع أن أجد تفسيرًا للغز تلك الفتاة ".

أثَّر حديثه في "ميزوتا" وظل صامتًا.

" ما رأيك؟ هل تسمعني يا سيد "ميزوتا"؟ "

" ربما تكون محقًا فيما تقول "

أومأ "ميزوتا" له

" إذا ما حدث ذلك؛ فسوف تتحقق أكبر آمالي ".

أدرك "ميزوتا" من الحديث أن "هاناأوكا" يحب "ميتشيكو". كما شعر بإعجاب لفِراسته. لذلك فهو لم يستطع أن يتغافل تماما كلمة "تدقيق النظر" التي قالها "هاناأوكا". و"ميتشيكو" تبلغ من العمر الآن سبعة عشر عامًا؛ وقد انضمت للفرقة وهي في الخامسة عشرة؛ لكن تُرى ماذا كانت تفعل وهي في كنف أمها قبل ذلك الوقت؟ وتُرى ما الذي حدث لها؟ "ميزوتا"؛ جذب "هاناأوكا" عنوة إلى خارج المطعم. ووقف "هاناأوكا" في منتصف الطريق هامدًا لا يستطيع أن يتحرك وهو يقول .....

" ما أجمل القمر! "

كانت المدينة ممتدة بشكل طولي تحدها الجبال من الجانبين. بدت الجبال سوداء على الجانبين قريبة منهم وكأنها نذير شؤم كاد يطبق عليهما؛ ومر بخاطر "ميزوتا" خيالات "ميتشيكو" فتوالت أمامه صور لأنفها وأذنيها وشفتيها ويدها وكاحلها؛ فشعر "ميزوتا" بغثيان وجلس هو الآخر القرفصاء دون أن يتحرك.

سمع من بعيد صوت الفتيات يغنين غناء جماعيًا.

" أين أنتن؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صرخ "هاناأوكا" بصوت عال.

" أين أنتن؟ "

وناداهن "ميزوتا" أيضًا. ولم ترد الجبال أي صدى لهما. لكن صوت الغناء اقترب منهما.

كانت الفتيات يمسكن بأيدي بعضهن بعضا؛ وعندما رأين "ميزوتا" و"هاناأوكا".....

" أنتما ثملان. امسكا بنا لنساعدكما على المشي ".

قالت الفتيات في مرح.

" ألم تقابل "ميتشيكو" يا سيد "ميزوتا"؟ "

" "ميتشيكو"؟ "

" نعم. لقد اختفت أثناء المجلس. ظننت أنها قد خرجت وستعود؛ لكنها لم تعد. "

" اختفت ....؟ "

قال "ميزوتا" وهو يدفع يد الفتاة عنه ووقف مترنحًا. واستبعد "ميزوتا" أن يكون أصابها مكروه ورغم ذلك قد شعر بالقلق بعض الشيء. لكن عندما عادوا إلى الفندق كانت "ميتشيكو" موجودة وحدها وقد استلقت في فراشها.

" ما هذا ؟! لقد قلقنا من أجلك وها أنت هنا !"

" أنت هنا ! يا لكِ من ماكرة ! "

قالت الفتيات يوجهن حديثهن إلى "ميتشيكو" ثم مددن أرجلهن حول وسادتها.

ضحكت "ميتشيكو" ضحكة حاولت أن تكتمها وقالت ....

" أهلا بكن ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدهاء الذي مكنها أن تختفي بسهولة من مثل ذلك المجلس؛ والجرأة التي مكنتها من السير وحدها ليلا بالمدينة جعلت "الشكوك" التي تحدث عنها "هاناأوكا" تأخذ بعدًا أكثر عمقًا في نفس "ميزوتا". وجلس "ميزوتا" في مكانه يمسك رأسه وأنفاسه يفوح منها رائحة الخمر.

" ما بك؟ "

قالت "ميتشيكو" وهي ترفع بصرها تنظر إليه وقد قاربت حاجبيها من بعضهما بعضا.

" رأسك يؤلمك؛ أليس كذلك؟ يالك من غض ! "

" نعم. "

أجابها "ميزوتا" ثم وضع يده في جيبه وأخرج زهرات النرد.

كانت الفتيات ما زلن يمرحن.....

فقالت إحداهن:

" ألقها يا "ميتشيكو"..... "

وضعت "ميتشيكو" زهر النرد على راحة يدها اليمنى - وهي لا تزال مستلقية على بطنها في الفراش - ورصت النرد في صف واحد. وكانت تتفحص أوجه كل واحد منها. وعندما دقق "ميزوتا" النظر فيما تفعل؛ وجدها قد وضعت واحدة في المنتصف على الرقم "واحد" وعلى جانبيها نردان كل منهما على الرقم "اثنين" والآخران اللذان على الأطراف كان كل واحد منهما على الرقم "أربعة"؛ أي صفتها فوق راحة يدها بهذا الشكل.....

وبحذر شديد حتى لا تتبعثر زهرات النرد المصطفة فوق راحة يدها؛ مدت يدها أفقيا إلى الأمام وكأنها تتسلم شيئا مقدسًا. استرعى انتباه الفتيات تركيز "ميتشيكو" الشديد فوقفن ينظرن وهن يحبسن أنفاسهن. وشيئًا فشيئًا أصبحت حركة يديها أسرع ثم ألقت بزهرات النرد فجأة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ها ها ! نجحت ! نجحت ! "

علت صيحات "ميتشيكو". ثم هبت ناهضة فوق فراشها. كان المشهد يخطف الأبصار. فقد كانت جميع الزهرات قد توقفت عند الرقم "واحد". وعلاوة على ذلك كانت الزهرات قد ثبتت في شكل متناسق وكأنها مظلة مفتوحة. وانتبهت الفتيات إلى جمال المشهد فصفقن لها. أما "ميزوتا" فقد ذهب عنه ألم رأسه.

"ميتشيكو" بعد أن نهضت من رقدتها ظلت جاثية على ركبتيها في الفراش؛ فكشف رداؤها عن ركبتيها. ومن تحت معطف النوم الخاص بالفندق الذي ترتديه كانت سترتها الداخلية القصيرة بيضاء. وعندما رأى "ميزوتا" ركبتيها تأكد أن ما قاله "هاناأوكا" عن "تدقيق النظر" لم يكن سوى كذب بيّن.

"تصبحين على خير"

ربت "ميزوتا" على رأس "ميتشيكو" برفق ونهض واقفًا.

" وأنت كذلك "

أومأت "ميتشيكو" ثم قالت وهي تنظر إلى قدمي "ميزوتا"

" يمكنك أن تناديني إن ظل رأسك يؤلمك؛ فأنا لن أنام. "

ذهب "ميزوتا" إلى غرفة الرجال. ومن هناك كان يسمع صوت زهرات النرد التي تلقيها "ميتشيكو". لكن الأمر قد اختلف تماما عن تلك المرة التي أرقه فيها الصوت عندما كان في ذلك الفندق بالمنفذ البحري.

وعندما فكر مليًا؛ وجد أنها حتى تستطيع أن تأتي بجميع الزهرات على الرقم واحد ربما وضعت زهرة المنتصف على رقم "واحد" حتى تتقلب ثمان مرات والزهرتين على جانبي زهرة المنتصف على الرقم "اثنان" لتتقلبا سبع مرات ثم زهرتي الطرفين على الرقم "أربعة" لتتقلبا خمس مرات.

لم تنس "ميتشيكو" كلمات "ميزوتا" عند تلك الصخرة؛ لكن تُرى كم عانت حتى تستطيع أن تحقق ما طلب منها؟.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زهرات النرد التي توقفت جميعها عند الرقم واحد وكأنها ألعاب نارية مبهجة الجمال.

" مبهجة ..... مبهجة ..... "

تذكر "ميزوتا" كلمات "هاناأوكا".

_____ في فترة كان الشباب ينهى دراسته ويأخذه سحر منطقة "أساكوسا"؛ فيتطلع إلى عش يركن إليه في فرقة "برفيو" بأساكوسا؛ ليعمل بكتابة السيناريو أو الإخراج أو أعمال الإضاءة وغيرها من الأعمال التي قد تكون أقرب إلى الهواية. وكان "ميزوتا" أحد هؤلاء الشبان. لكن غضاضة وحيوية الهواة قد ولى زمانها - وكما فعلت "سِنكو" - ربما كان الآن الوقت المناسب ليضع حد النهاية. وقد تكون هناك "بهجة" تنتظره في مكان ما هو و"ميتشيكو" معًا. ظلت تلك الأفكار تراوده حتى جافاه النوم. ولا زال صوت نرد "ميتشيكو" يداعب أذنيه.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ه "

# غـادة السنـونـو



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مر القطار بنفق جبل "أووسَكا" وخرج إلى طريق "أوومي"؛ وكان أغلب الركاب بالعربة البانورامية نيام. ومن لم يكن منهم نائمًا فهو على الأقل غافٍ قد أطبق جفنيه. سبعة أو ثمانية من الرجال - أغلب الظن أنهم - في سن متقاربة؛ يبدون جميعًا قد اعتادوا السفر في هذا الطريق للتنقل بين المنطقة الشرقية والمنطقة الغربية من أجل العمل أو شيء من هذا القبيل.

حقول القمح الخضراء تمتد وبينها في بقع متناثرة أزهار "الكانولا" الزاهية؛ وعلى الجانب الآخر منها بحيرة تغمرها مياه الربيع؛ ولم يكن من متأمل لذلك المشهد سوى "ماكيتا" وزوجته. ولم يكن بالقطار من النساء بخلاف "أكيكو" سوى طفلة صغيرة من بلد غربي.

"ماكيتا" وهو ينظر إلى سفينة بخارية صغيرة - تمر أسفل الجسر الحديدي من منابع البحيرة لتدخل مياه نهر "سِتا" - قال:

" أليست تلك سفينة سياحية .....؟ "

فأومأت له "أكيكو". ومن بعدها لم يتحدثا حتى وصل القطار لمنطقة "أزوتشي"[١٧].

المقاعد على الجانبين بمحاذاة النوافذ بدت وكأنها مقاعد غرف استقبال الضيوف؛ وفيما عدا "ماكيتا" وزوجته كان المسافرون كل يسافر بمفرده فلا يتحدث أحدهم إلى آخر - وربما كان هؤلاء الرجال يتجنبون النظر إلى اثنين يتضح من أول وهلة أنهما عروسان حديثا الزواج - ولأن المكان قد يُسمع به أي صوت؛ تحرج "ماكيتا" وزوجته من تبادل أي حديث.

---

(١٧) المنطقة التي تقع بها قلعة "أزوتشي"، وهي من أقدم القلاع اليابانية التي بُنيت على شواطئ بحيرة "بيوا" -أكبر البحيرات اليابانية- وهي في محافظة "شيغا" بالقرب من "كيوتو" عاصمة اليابان القديمة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وظهرت في الأفق قلعة "هيكونيه"[١٨]

كانت النوافذ البانورامية كبيرة؛ دخلت من خلالها أشعة شمس الظهيرة وغمرت رداء "أكيكو" الذي بدا نصفه السفلي منتفخا قليلا بسبب حزام خصرها. نظر "ماكيتا" إلى عنق "أكيكو" - وقد سطعت عليه أشعة الشمس - فشعر بذهول لا يدري سببه. انتابه ذهول لوهلة وكأنه رأى من بشرتها موضعا لا يجب أن يكون مكشوفا للرؤية. ويبدو أنه لحظة نظره إلى عنقها الذي غمرته أشعة الشمس شعر بقوة عارمة في جسدها كله. وقد استغرب "ماكيتا" أن يستشعر كل ما خفي من المرأة برؤية ذلك الجزء الضئيل المكشوف من بشرتها. فغمرت صدره سعادة هي أقرب لأن تكون دهشة من أن تكون سعادة.

لكن - تلك البشرة التي بهرته نعومة ملمسها - عندما نظر إليها تحت أشعة الشمس رأي بعينه مسامها واحدة واحدة؛ فتعجب لأن تجعله تلك البشرة الإنسانية بشوائبها الباهتة يستشعر لأول مرة بأن تلك المرأة مخلوق مختلف عنه. تلك المرأة - التي تستقل القطار عائدة من عطلة إجازة الزواج - تُرى فيما تفكر. لا يستطيع "ماكيتا" أن يدرك فيما كانت تفكر؛ لكن ذلك الغموض في تلك اللحظة كان له مذاق ممتع.

من المؤكد أنها أزالت الشعر الوبري في عنقها من الخلف قبل وضع مساحيق التجميل[١٩] في مراسم الزواج؛ لكن يبدو أنها لم تمسه بشفرة أثناء الرحلة؛ فبدا كأنه غبار أبيض ينمو على مؤخرة عنقها. ذلك الشعر الوبري؛ جعل "ماكيتا" يستشعر خبايا كانت قد خفيت عنه في جسد "أكيكو" التي تتبعه طائعة له في كل ما أراد.

وبدا له شعر "أكيكو" يميل إلى اللون البندقي؛ ربما كان ذلك لانعكاس أشعة الشمس عليه؛ لكن - ما شغله وجعله يفكر هو - تُرى ما الذي جعله يدرك أن شعر

---

(١٨) إحدى القلاع اليابانية الشهيرة في محافظة "شيغا" جنوب وسط جزيرة "هونشو" أكبر الجزر اليابانية.
(١٩) تضع العروس مساحيق بيضاء تدهن بها رقبتها للتزين في مراسم العرس.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرأة تحت أشعة الشمس قد يميل لونه إلى الحمرة؛ في حين أنه لا يتذكر مطلقًا أن رأى امرأة واحدة في مثل هذ الموقف؟!.

أغمض عينيه قليلاً فشعر في أعماق جسده بوهن له عذوبة وكأن حواسه تتخدر؛ ويطفو في مخيلته مشهد لأعداد لا حصر لها لقناديل البحر. كان ذلك ما رآه عندما أبحرت السفينة من الميناء في "يوكوهاما".

كان "ماكيتا" و"أكيكو" قد ركبا سفينة لخطوط ملاحة دولية وذهبا على متنها - في رحلة زواجهما لمدة أسبوع - إلى "كوبه" ومنها إلى "أوساكا" و"نارا" و"كيوتو". وكان بعض الأصدقاء قد رافقاهما لتوديعهما إلى غرفتهما على متن السفينة؛ فاقترب أحد الأصدقاء من أذن "ماكيتا" ليهمس له ؛ اندهش "ماكيتا" لما عساه أن يخبره.

" ألا ترى أن هذا الجانب بعيد عن ذاك الجانب! "

قال له ذلك هامسًا. وكان يقصد فراش النوم على جانبي الغرفة. ولأنه كثيرًا ما يقيم بالغرفة راكبان لا يعرف أحدهما الآخر فصممت الغرف بحيث تكون هناك مسافة بين الفراشين وأن يُحجب كل فراش بستار. ويبدو أن أحد رؤساء "ماكيتا" بالعمل قد سمع همس صديقه له؛ فقال بصوت مرتفع:

" بالتأكيد إنه من الطبيعي أن تكون هناك مسافة بين الفراشين؛ إلا إذا كان الراكبان في رحلة زواج .... "

طغت الدهشة على وجه "ماكيتا" وهو ينظر إلى رئيسه في العمل؛ ومازالت كلماته تدوي في أذنه. في تلك اللحظة كانت "أكيكو" تقف أمام أمها وهي مطأطئة الرأس وتمسك برداء أمها أسفل حزام خصرها بإصبعين؛ وأغلب الظن أنها فعلت ذلك بشكل غير إرادي. وكان واضحًا أنه لو قال لها شيئا لانهارت باكية. وحتى بعد أن هبط المودعون إلى رصيف الميناء استغرقت السفينة وقتًا طويلًا حتى تبحر؛ لكن



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ماكيتا" ظل صامتًا. كان كل ما يتمناه ألا تبكي "أكيكو". أما "أكيكو" فكانت لاتفعل شيئا سوى كبح رغبتها في البكاء.

وكان مشهدا تشوبه البلاهة أن اعتلت "ساقطات الميناء"(٢٠) درابزين الرصيف، وهن يصرخن بملء أفواههن.

ولأن الأمر لا يتعدى سوى كونه رحلة إجازة زواج - قصيرة -؛ شعر "ماكيتا" بخجل من أن يخرج منديله ويلوح به. تحركت السفينة فأخذ المودعون على رصيف الميناء يجدون في اتجاه سيرها؛ ومن على متن السفينة من ركاب كانوا أيضا يتدافعون من الجانبين - حتى لا يغيب المودعون عن أنظارهم - فأحس "ماكيتا" بدفء جسد "أكيكو"؛ ثم انتاب "ماكيتا" شعور مفاجئ بالحزن. وإن كان ذلك الحزن لم يكن ما شعر به "ماكيتا" نفسه؛ وإنما هو ما انتقل إليه من مشاعر الأسى التي سيطرت على "أكيكو" وهي تترك والديها وتخرج في رحلة مع رجل لا تعلم عنه الكثير.

أخرج "ماكيتا" منديله من جيبه وأعطاه إلى "أكيكو"

أخذت "أكيكو" تلوح بالمنديل بحماسة أدهشت "ماكيتا"

وعندما انتبهت "أكيكو" لما تفعله نظرت إلى أسفل:

" انظر ! هذه قناديل البحر .... "

قالت له "أكيكو"....

فنظر "ماكيتا" هو الآخر إلى أسفل؛ فكانت الأمواج ترتطم بمؤخرة السفينة تجعل المياه رغوية وفي تلك المياه الكثير من قناديل البحر. وكانت القناديل كبيرة الحجم.

---

(٢٠) طبقة من الفتيات اللاتي يمارسن البغاء مع الأجانب الذين يترددون على ميناء مدينة "يوكوهاما".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت تلك المجموعات من القناديل تمدد وتكمش أجسامها الشفافة في حركة مستمرة وسط الأمواج المضطربة. وحتى وسط المياه الرغوية عند منتصف السفينة - وإن كان نادرًا - كانت هناك بعض المجموعات الكبيرة من القناديل تطفو وتغوص في تلك المياه. وإن كان من الصعب أن يجزم المرء ما إن كان ذلك المشهد جميلا أم قميئا؛ إلا أنها بدت وكأنها نذير سوء يتعقب السفينة. وكان ما يؤرق "ماكيتا" أنه عندما يغمض عينيه كثيرًا ما يتراءى له في مخيلته مشهد تلك المجموعات من قناديل البحر.

ابتعد القطار عن البحيرة ودخل وسط تلال جبلية؛ كانت "سيكيغاهارا"[٢١] قد باتت قريبة.

" أعتقد أن تلك الطفلة هجين".

قال "ماكيتا" بصوت خفيض، وهو ينظر إلى الطفلة الصغيرة الجالسة أمامهما. لكن "أكيكو" وجدت رأيه على غير ما توقعت ....

" هذا غير معقول ! أتعتقد ذلك؟ "

" إن سواد شعرها المائل إلى الحمرة لا يبدو ذا طابع ياباني ".

" هذا رأيك؟ "

" ربما لأنها ولدت في اليابان تبدو كأنها يابانية لكني أعتقد أنها هجين مع جنسية أخرى. "

" أنا اعتقدت أنها يابانية؛ فأنا أيضا أنظر إليها منذ وقت طويل. وما معها من أشياء يوحي بذلك ".

كانت الطفلة تحتضن دمية يابانية وكان معها صُرة - من القماش الياباني - ملفوف بها بعض الأشياء.

" ربما كانت هجين؛ فأرى أن حركاتها رقيقة ".

---

(٢١) اسم منطقة في محافظة "غيفو" بجزيرة هونشو شهدت معركة فاصلة في تاريخ اليابان عام ١٦٠٠، حيث مهدت لقيام حكومة "توكوغاوا".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لكن ملامح وجهها غربية تمامًا ".

" تُرى كم عمرها؟ "

" ربما في السابعة من عمرها. ما هذا ؟! أليست ملابسها قطنية؟ إنها ترتدي ملابس صيفية !"

" هل هذا معقول ؟! قد تكون من الكتان ".

رغم أن الزمن كان يومها في الثلث الأخير من شهر أبريل؛ كانت الطفلة ترتدي ملابس صيفية. فكانت ترتدي ثيابًا قصيرة بأكمام قصيرة بلون أزرق داكن به نقوش لأزهار دقيقة؛ ومن تحته يظهر قميص داخلي من الحرير بلون وردي وكذلك سروال داخلي بنفس اللون. وكان حول عنقها شريط زينة من الدانتيل الأبيض. وكان شعرها مقسمًا على الجانبين من المنتصف، ويبدو أنه مربوط من الخلف بشريط حريري أبيض؛ لكن بتدقيق النظر يتضح أنه مربوط بقطعة خزفية بيضاء؛ على شعرها الأمامي وضعت قطعة خزفية بيضاء للزينة.

" ترى هل هي مسافرة بمفردها؟ "

قالت "أكيكو"

" أنا كذلك عندما أنظر إليها أظن أنها مسافرة بمفردها. اعتقدت لبعض الوقت أن الرجل الذى بجانبها هو أبوها؛ لكن يبدو أنه ليس كذلك ".

" لا؛ إنه ليس أباها ".

كان المقعد الذي تجلس عليه فسيحا بالنسبة لطفل صغير؛ فكانت تلك الطفلة تلتصق بظهرها بالمسند الخلفي ورفعت قدميها فوق المقعد. وعلى ركبتيها المثنيتين وضعت كتابًا يابانيًا مصورًا مفتوحًا. وكانت تستند بكوعيها على ركبتيها وتجلس بميل في اتجاه الرجل الجالس إلى المقعد المجاور لها؛ لذلك اعتقد "ماكيتا" في البداية أن ذلك



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرجل هو أبوها. لكن الرجل الجالس بجوارها كان نائمًا دون أن يهتم بها وكانت الطفلة تلهو بمفردها.

" كيف تكون بمفردها ؟ "

قالت "أكيكو" وقد شعرت بعاطفة تجاة الطفلة.

دخل عامل القطار إلى العربة ....

" لقد خلت الغرفة الآن فتستطيع أن تتفضل ".

هكذا قال موجهًا كلامه إلى "ماكيتا"

أومأ له "ماكيتا" لكنه لم ينهض.

كانت الدرجة الأولى مقسمة إلى ثلاثة أجزاء. قبل العربة البانورامية كانت هناك عربة بها مقاعد دوارة؛ ومن قبلها عربة مقسمة إلى غرف صغيرة منفصلة. تلك الغرف الصغيرة كانت مجهزة بمقعدين طويلين متقابلين وكانت على النوافذ الزجاجية لمداخلها ستائر مسدلة. ربما أراد عامل القطار أن يسدي له معروفًا؛ لكن "ماكيتا" تحرج أن يذهب إلى تلك الغرفة التي تبدو كأنها صناديق لنوم الظهيرة؛ كما أن مجرد عرض العامل باستخدام الغرفة أشعره بالحرج....

" أيهما تفضلين؛ السفينة أم القطار؟ "

" أفضل السفينة ".

وبعد أن أجابته بهذا الجواب قالت "أكيكو":

" كان أبي يتمنى بأن يستقل سفينة وهو ذاهب لقضاء رحلة إجازة الزواج ".

وكان صوتها مرتعشًا وهي تقول

نظر "ماكيتا" إلى "أكيكو" وقال:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" أبوك....؟ "

" نعم. ألم ترَ أنه كان دائما يقول اذهبا بالسفينة؛ اذهبا بالسفينة؟ "

" ألذلك كان أبوك أيضًا يُؤيد فكرة الذهاب بالسفينة؟ "

قال "ماكيتا" بشكل عفوي ...

" نعم؛ فهو لا يستطيع أن يذهب في رحلة إجازة زواج مرة أخرى! "

ضحك "ماكيتا".

" فالآباء دائمًا ما يرغبون في أن يفعل أبناؤهم ما لم يستطيعوا تحقيقه بأنفسهم ".

أومأ "ماكيتا" مصدقا على ما تقول لكنه كان في قرارة نفسه مشغولاً بمفاجأة أدهشته كثيرًا. فهو منذ أن غادرت السفينة ميناء "يوكوهاما" كان قد نسي أمر والدي "أكيكو" تمامًا. في حين أن "أكيكو" يبدو من أسلوب حديثها أنها كانت دائمًا يشغلها أمر والديها اللذين تركتهما في قريتها. وإن كان ما فكرت فيه "أكيكو" لم يكن سوى أمر طبيعي؛ إلا أن "ماكيتا" اكتشف للمرة الأولى اختلافا واضحا بينه وبينها. فشعر فجأة بتأنيب الضمير وهو يسترجع قضاءه رحلة الزواج دون أن يشغله أمر والدي "أكيكو" ولو لمرة واحدة.

" إذًا كان قرارًا موفقًا أن اخترنا السفينة؟!.

" نعم "

" وهل أرسلت لهما خطابات كثيرة؟ "

" الخطابات .... ألم تر ما أرسلت؟ "

" ذلك فقط ....؟ "

" ماذا؟ "

سألته بنبرة معاتبة. وكانت نبرتها تحمل معاني استنكار لظن "ماكيتا" أنها قد تكون أرسلت خطابات أخرى دون علمه. كان "ماكيتا" بالطبع يعلم أمر البطاقات



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البريدية المصورة التي كتباها معًا؛ كما أنها أطلعته على ما كتبته من خطابات وأرسلتها من الفندق.

" لم أرسل سوى تلك الخطابات".

" إذًا فلديك الكثير لتحدثيها عنه عند عودتك ".

" لكن؛ لا أدري ..... "

قالت "أكيكو" بدلال.

" إن أبي بعد أن تقرر زواجي؛ أصبح فجأة رجلا حالما. ويرسم في خياله الكثير من الأشياء لحياتي في المستقبل ".

" حقًا؟ وما الذي يحلم به .... "

" الكثير..... فكانت أمي تضحك منه وتقول كأنه هو العَروس ".

" وبعد؛ ماذا قُلْتِ؟ "

" أنا؟ قد قلت له إنه مهما كان ما يحلم به؛ فإنني لا أعرف الشخص الذي سأتزوجه معرفة جيدة ولا أستطيع أن أفكر كيف ستكون حياتي. فهذا يعتمد على من سأتزوج وليس في استطاعتي أن أدرك كيف سيكون. ___ لكن في الواقع كنت أود أن يكف أبي عن أحلامه لي. فكلما قال لي ما يحلم به كنت أشفق عليه ".

" لكن لابد أنكِ ترغبين في أن تحققي ما يحلم به والدك لك ".

" أبدًا. لا أرغب في ذلك.... ولا أستطيع أن أحققه؛ ولا توجد ضرورة لذلك أيضًا ".

قالت "أكيكو" بلهجة حاسمة وغير متوقعة.

لا شك في صدق ما قالت؛ لكن "ماكيتا" شعر برغبة في أن يعرف ما كان يحلم والد "أكيكو" ويخطط لتكون حياتها الزوجية عليه.

" تُرى هل كان ما يقوله أبي بسبب أنه نعم بحياة زوجية سعيدة. أم تُرى لأن حياته الزوجية كانت بائسة؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وكيف لي أن أعلم ؟ "

لم يستطع "ماكيتا" أن يجد إجابة على الفور

" لكني أعتقد أن الأمر لا يتعلق بتجربته، لكنه فقط يقلق بشأن مستقبل ابنته ويتطلع لأن تكون حياتها سعيدة ".

هكذا قال "ماكيتا" بكلمات غير واضحة.

كان الحديث كله بصوت خفيض حتى إن صوت دوي عجلات القطار كاد أن يطمسه، لكن صوت "أكيكو" - في هذا الحديث الهامس - كان واضحًا، أما صوت "ماكيتا" فكان مُدلهمًا يُسمع بالكاد. ولولا ذلك الصوت الهامس الذي هو علامة على عفة الفتاة، لظن "ماكيتا" من بعض المواضع في حديثها أنها تتوجس خيفة. وإن كانت همساتها أيضًا مرتعشة، إلا أن "ماكيتا" من خلال صوتها شعر بأنوثة المرأة. فهي وإن كانت لا تزال تجهل الكثير إلا أن الصوت الهامس كان مكتسبا لديها بالفطرة.

ألقت الطفلة - الصغيرة الجالسة أمامها - الكتاب المصور من يديها؛ وأمسكت بصُرة القماش - الملفوفة بها أغراضها - لتفتحها ثم تعود لتربطها مرة أخرى ولم تكن حركات يديها تبدو معتادة على ذلك. وكان لون القماش عاديًا غير لافت؛ لكنه بدا رقيقًا. صُرة القماش كان بداخلها صندوق صغير به أوراق ملونة؛ فأخذت الطفلة واحدة من الأوراق الملونة وبدأت تطوي الورقة لتصنع منها خوذة. وكان معها دميتان فأخذت الصغيرة منهما وحاولت أن تضع الخوذة على رأسها. فسقطت منها ....

" آه .... "

قالت الطفلة ذلك والتقطت الدمية وحاولت مرة أخرى أن تضع الخوذة على رأسها لكنها لم تستطع.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصل "السنونو"[٢٢] إلى "ناغويا". استغرقت المسافة من "كيوتو"[٢٣] ساعتين ولم يتوقف في أية محطة بينهما. الراكبون الآخرون الذين ظن "ماكيتا" أنهم نائمون؛ يفتح كل منهم عينيه؛ ومنهم من نهض من مكانه ونزل من القطار. وركب اثنان أو ثلاثة ركاب آخرون؛ وبالطبع كانوا جميعا من الرجال.

هرولت الطفلة الصغيرة إلى العربة المجاورة - المجهزة بالمقاعد الدوارة - ثم أمسكت بكتف سيدة غربية وقالت لها شيئا ما.

" ها هي أمها معها ".

" ماذا ؟ لكن أتتركها هكذا دون أن تهتم بها ؟! "

الأم لم تفعل شيئا ردًّا على ما قالته لها ابنتها سوى أن أومأت لها حتى دون أن تلتف بالمقعد الدوار تجاه الطفلة وظلت تقرأ في كتاب. أما الطفلة فقد عادت على الفور إلى العربة البانورامية. وفي هذه المرة أخذت تطوي الورق لتصنع طائر "الكُركَي". وكانت "أكيكو" تنظر مبتسمة للطفلة، وهي تلهو بتلك الألعاب اليابانية الطبع.

مشهد أسطح المنازل المغطاة بالقرميد - على طريق "ميكاوا"[٢٤] - كان بديعا.

الطفلة عادت مرة أخرى تحمل عقدة صُرة القماش لتضع الأوراق الملونة في الصندوق.

" بالفعل إن هذه الطفلة هجين. فقد رأيت على طرف صُرة القماش مكتوبًا اسم "تيراكاوا". "

---

(٢٢) اسم أطلق على قطار سريع بأحد الخطوط التابعة لسكك الحديد اليابانية الوطنية بدأ العمل به عام ١٩٣٠ تقريبًا وكان من أسرع القطارات وقتها.

(٢٣) المسافة بين "كيوتو" و"ناغويا" حوالي ١٣٠ كيلومترا.

(٢٤) اسم طريق مشهور بمدينة "توبوتا" بمحافظة "ناغويا".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعاطفة قالت :

" لكن الزواج ليس بالأمر الهين ".

هكذا قالت وكأنها تحدث نفسها. وبينما كان "ماكيتا" متحيرًا فيما تقصد وبأي شيء فكرت وهي تقول كلماتها .

" تلك السيدة الغربية لابد أنها تركت بلادها لتعيش عمرها هنا في اليابان بعيدًا عن أهلها. "

" هذا صحيح. إذا ما فكرت في الأمر من ذاك الجانب "

" وتلد طفلاً لرجل أجنبي .... "

مثل تلك الأمور كانت تشغل "أكيكو" في تلك اللحظة وتُثير عواطفها من أعماقها. لكن كلماتها أخذت "ماكيتا" لمشاعر أعمق.

تلك المرأة الأجنبية - الجالسة في عربة المقاعد الدوارة - التي يرى ظهرها؛ كان كتفاها عريضين لكن وحشة منتصف العمر قد أثقلتها؛ فبدا له الأمر شديد الغرابة أن تكون تلك المرأة قد أتت لهذا البلد الأجنبي فقط من أجل أن تتزوج وتنجب بها أطفالا مختلطي العرق. وتلك الأفكار قد جعلت "ماكيتا" ينظر إلى الطفلة التي أمامه، وكأنها كيان روحي يثير الأسى في نفسه.

" تُرى لِمَ يبدو الأطفال الغربيون رقيقين إلى هذا الحد. رغم أن وجوههم ليس فيها من الجمال شيء؟ ".

تلك الطفلة كانت عيناها الزرقاوان غائرتين؛ وعظام جبهتها ووجنتيها لم يكن بها رقة؛ وشفتاها كانتا بارزتين بشكل مُنفِّر بعض الشيء. لكن قوامها كان به ليونة ملائكية. ساقاها المكشوفتان حتى أسفل خصرها كانتا متلألئتي الجمال. وكان ما



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجعلها تبدو مختلفة عن الأطفال اليابانيين تلك الرقة التي غلفت انطلاقها في عزلتها والتي تشعر من يراها باستقلالية مجسدة صارخة المعالم.

تجاوز القطار شواطئ خليج "أتسومي"[٢٥]؛ وعلى الفور عبر بحيرة "هامانا"[٢٦] عند طريق "إنشو". في تلك المنطقة كان كل بيت من بيوت المزارعين محاطًا بسياج من أشجار الصنوبر في مشهد رائع الجمال. وكانت جميع الأشجار مثمرة؛ وبدت براعمها الصغيرة الصفراء فوق أشجاره وكأنها مجموعات من اليعاسيب وقفت مجتمعة فوقها.

لن يتوقف القطار حتى محطة "شيزوأوكا"؛ وبعدها لن يتوقف إلا في "نومازو"[٢٧] ثم "يوكوهاما" فقط.

أخرجت الطفلة من صُرة القماش بالونات ورقية في ثلاثة أحجام مختلفة - الكبيرة والمتوسطة والصغيرة - ثم أخذت أكبر البالونات فوسعتها وحاولت أن تضعها على رأسها؛ لكنها سرعان ما سقطت من فوق رأسها. ولأن الطفلة نظرت إلى "ماكيتا" ابتسم لها؛ لكنها وكأنها لم تره عادت لتضع البالون على رأسها مرة أخرى وكانت تحاول تثبيت البالون بكلتا يديها ونظراتها حائرة فيمن حولها هنا وهناك.

" أتعجب من أنها لا تمل اللعب بمفردها. وأمها لا تُعيرها أي اهتمام؟!

هذا ما قالت "أكيكو"

" إن أطفال الغربيين كلهم هكذا. آباؤهم يتركونهم بمفردهم منذ أن يولدوا؛ والأطفال يعتادون الوحدة. يقولون إنهم إن لم يفعلوا ذلك فلن يطور الطفل ملكة التفكير."

---

(٢٥) خليج يُحيط بشبه جزيرة "أتسومي" جنوب محافظة "آيتشي" وسط جزيرة "هونشو".

(٢٦) تقع البحيرة في الجزء الغربي من محافظة "شيزوأوكا" التي يقع في الشمال منها جبل "فوجي" الشهير.

(٢٧) إحدى المدن التابعة لمحافظة "شيزوأوكا".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لكن نحن نشفق على الأطفال ولا نستطيع أن نتركهم وشأنهم هكذا ".

ثم وضعت الطفلة البالون على فمها وحاولت أن تنفخ فيه؛ وَلَمَّا عجزت أن تفعل بشكل صحيح نهضت "أكيكو" واقتربت منها ونفخت لها البالون. أعطت الطفلة البالون لـ"أكيكو" بهدوء لكن عندما أعادت لها "أكيكو" البالون أخذته بلا مبالاة وكأن لسان حالها يقول "هذا معروف لم أطلبه"؛ ولولا الحياء ما ابتسمت لها ابتسامة المجاملة تلك.

وإن بدا على الطفلة احتياجها لمن يشاركها اللعب - وحيوية الطفولة - وحركتها المستمرة التي لا تهدأ؛ إلا أنها ظلت تلعب بمفردها. فتح الرجل - الجالس بجوارها - عينيه وقال لها شيئا ما؛ لكنها وكأنها لم تسمعه.

" ألا يزداد تعلقك بها كلما نظرت إليها؟ "

قالت "أكيكو" في رفق.

خارج نافذة القطار كانت شمس المغيب تظلل حقول الشاي؛ وبراعم الشاي لازالت صغيرة. وأزهار "الساكورا" الجبلية؛ وأزهار المشمش في القرى كان يغلفها لون الغروب الهادئ؛ وكان هذا الوقت من اليوم هو الذي تبدو فيه براعم الأشجار في أزهى صورها.

ذهبت الطفلة إلى أمها مرة أخرى لكنها عادت على الفور؛ وفي هذه المرة قفزت لتجلس على المقعد المستطيل بجوار "أكيكو"؛ ثم أخرجت "كرة الفول"[٢٨] من صندوق الأوراق الملونة الصغير.

" ما أجملها! إنها كرة الفول! "

---

(٢٨) لعبة يابانية تلعب بها الفتيات الصغيرات، وهي عبارة عن كيس -صغير على شكل كرة- من القماش مملوء بحبات من اللوبياء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت "أكيكو" بنبرة اشتياق ودهشة.

كان القماش المستخدم في الكرة باللون القرمزي الداكن وعليه نقوش رقيقة من الأزهار والأعشاب الصغيرة المتداخلة. فبدت تلك الكرة التي تنبض ألوانها يابانية - في قلب نضارة الخضرة يحتضنها لون الغروب خارج نافذة القطار - وكأنها قطرة حانية تخطف العين.

" أين بيتكِ؟ "

" يوكوهاما ".

هكذا أجابت الطفلة "أكيكو" عن سؤالها؛ لكنها كالمعتاد لم تبد اهتمامًا وواصلت اللعب بـ"كرة الفول" - رغم عدم تمكنها - فكانت تلقيها إلى أعلى وتتلقفها. وبعد أن ملت الطفلة اللعب بالكرة أخرجت أوراقًا مسطرة وأخذت ترسم صورًا طفولية. الأوراق التي كانت ترسم عليها كانت أوراق خاصة بخطابات شركة تجارية فكان مطبوع عليها اسم شركة "تيراكاوا" للمنتجات الطازجة بيوكوهاما.

توقف القطار في "شيزوأوكا". وبعدها سار القطار في الطريق الشاطئي الطويل حتى "نومازو". لم تكن "أكيكو" تنظر لشيء سوى تلك الطفلة؛ ثم فجأة التفتت إلى "ماكيتا" وقالت له:

" أظن أننا لن ننسى هذه الطفلة طوال عمرنا ".

" نعم سنظل نتذكرها ".

" أنا على يقين أننا لن ننساها. وإن كنا لن نراها بعد اليوم مرة أخرى ..... "

" هذا صحيح ".

" أظن أنني لم أنظر سوى إلى تلك الفتاة طوال طريق العودة. هذا أمر عجيب! "

اقترب القطار من طوكيو؛ وهناك كان ينتظر كلاهما حياة زوجية؛ وكان الأمر لا يزال غريبًا على أن يستوعبه "ماكيتا".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" عندما نصل طوكيو ستكون الساعة التاسعة تمامًا. ألا تتمنين لو كانت رحلة إجازة الزواج أطول قليلا؟ "

" حقًا. لكنني أيضًا أشعر برغبة في العودة للبيت. فلدي الكثير من الأشياء لأقوم بها. "

" وما الذي لديك لتفعليه؟ "

" انظر ".

قالت "أكيكو" وعلى وجهها ابتسامة

" قد أفكر في أن أسرق هذه الطفلة! "

" لن تدعك تفعلين ذلك. فهي شديدة الوعي ".

قال لها "ماكيتا" كذلك، وهو يفكر تُرى كيف ستكون حياتهما لو أنجبا طفلة لها عينان زرقاوان وشعر أشقر. وشرد بفكره يتخيل عالمًا اختلطت أعراقه بالزواج وعمه السلام في المستقبل البعيد.

يبدو أن الطفلة شعرت بالملل فنهضت وذهبت إلى حيث أرفف الكتب - وهي تغني بصوت منخفض وتتمايل راقصة على غنائها - ثم التقطت كتابًا في يدها وأعادته إلى مكانه مرة أخرى.

زرقة البحر؛ وعلى الجانب الآخر منه سماء الشفق؛ أمامها يعلو جبل "فوجي" شامخًا.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# " ٦ "

# انصياع واحتواء



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## (١)

عندما يعود "ماكي ياما" من المدرسة غالبًا ما يخلع جاكته بنفسه؛ لكنه يترك رابطة عنقه لتحلها له زوجته "نوبوكو". ثم يمد لها قدميه لتنزع عنهما الجوارب وتلبسهما الـ"تابي"[٢٩]؛ حتى إنها تربط له مشابك التابي.

وفي الصباح تساعده "نوبوكو" لارتداء الجوارب. وبالطبع كانت تساعده، وهي تقف من خلفه وتمد له يدها بالقميص ثم الصدارية؛ لكن رابطة العنق كان "ماكي ياما" يقوم بعقدها بنفسه. فيعقدها بدقة دون أن ينظر إلى مرآة؛ ولم يكن يقبل أن تمسها "نوبوكو" ولو لمسة بسيطة. فقد كان "ماكي ياما" مولعًا برابطات العنق وما أن يرى متجرًا لبيعها إلا ويدخله ليتفحص ما به. وهو مع كونه معلمًا كان من هؤلاء الذين يعتنون بمظهرهم اعتناءً شديدًا. أما القبعة فكانت تعطيها "نوبوكو" له عند باب المنزل؛ وعند عودته كان يخلعها ويسلمها إليها.

لم تكن "نبوكو" تجد أي غضاضة في أن تعتني بقدمي زوجها؛ لكنه ربما كان ينتابها شعور بالخجل أحيانًا إذا ما رآها الآخرون، وهي تفعل ذلك. لكن "ماكي ياما" لم يكن يشعر بحرج في أن يمد قدميه إلى زوجته.

أن تقوم الزوجة حتى بربط مشابك التابي لزوجها - من منطلق الأعراف السائدة في الوقت الحاضر بين الأزواج - أمر نادر الوجود. لكن ما جعل "نوبوكو" تفعل هذا أنها نشأت ترى أمها تفعل كذلك لأبيها. توفى أبو "نوبوكو" وهي صغيرة فلم تكن تتذكر أن أمها كانت تخلع له الجوارب من قدميه أو تلبسه الـ"تابي"؛ لكنها ما

---

(٢٩) جورب ياباني تقليدي بارتفاع كاحل القدم، وبه فاصل بين إصبع الإبهام والأصابع الأربعة الأخرى وبه مشابك لتثبيته. ويرتديه اليابانيون مع الغيتا (النعل التقليدي) أو داخل المنزل بدون أن ينتعل شيئا آخر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن تقرر زواجها من "ماكي ياما" حتى تذكرت هذا الأمر. وأصبحت مشاهد نابضة لأبيها وأمها في تلك الحالة تتواتر في مخيلتها حتى كانت عيناها تذرفان الدمع، وهي في فراش نومها.

ولا شك أن صورة أبيها وأمها تلك كانت تكمن في أعماقها عاطفة سببتها فراقها لبيت أسرتها. وربما كانت هي أنسب ما تحمله من ذكريات لأمها التي تركتها وحيدة بالبيت وتتوق إليها شوقًا.

ـــــ إبهام قدم أبيها المكتنز لحما، المفلطح في مبالغة، وقد نبت عليه الشعر الأسود في قدم مسطح بلاتجويف لكنه لين وكبير، ومشهد أصابع أمها البيضاء التي لا تفارق تلك القدم؛ كان مشهدا لا مرأة من الماضي السحيق - تلك الأصابع القصيرة كانت دائبة الحركة.

ورغم أن "ماكي ياما" قد أصبح ابنًا بالتبني[٣٠] لعائلة "نوبوكو" فإنه كان يعمل في طوكيو؛ - كانت أمها من ذلك النوع الذي - عندما فارقت ابنتها الوحيدة "نوبوكو" كفلت ابنة عشيقة زوجها لتعيش معها في منزلها بالقرية.

كانت "نوبوكو" في بادئ الأمر تخلع لزوجها "التابي" من قدميه أو تلبسه جوربه تقليدًا لأمها، وإذا بالأمر يتحول إلى عادة. فلم تكن تلك العادة مجرد اعتناء بشئون زوجها بل كانت بالنسبة لها ذكرى والديها. كان خيال قدمي أبيها ويدي أمها يتجسدان أمام ناظريها فكانت "نوبوكو" من حين لآخر تتأمل في استحياء قدمي زوجها ويديها. بدت لها يداها جميلتين؛ وربما تبدو قدما زوجها عجيبتي المظهر. شعرت بعاطفة غريبة قد تبدو حمقًا أو قد تكون خجلاً ....

" ها قد انتهيت ".

قالت "نوبوكو"، وهي تخبط على قدم زوجها بكف يدها، وظلال ابتسامة حبيسة على ملامح وجهها. إن كان هناك نساء يضعن "التابي" لأزوجهن في أقدامهم

---

(٣٠) في المجتمع الياباني يستطيع الرجل تغيير لقب عائلته إلى لقب عائلة زوجته حينما لا يكون لعائلة الزوجة أبناء من الذكور لحمل لقب العائلة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا ريب أن القليل منهن قد يتأملن أقدام أزواجهن بهذا القدر من العناية؛ فهن قد يقضين حياتهن دون أن يتأملن حتى أقدام أنفسهن.

بالطبع لم تكن "نوبوكو" قد أمعنت النظر بأقدام رجال آخرين؛ لكنها كانت على قناعة بأن شكل قدمي زوجها ليس خارج نطاق المألوف. فكان لأبيها الذي نشأ في عائلة ريفية كبيرة وعاش عمرًا بكبح فيه الآخرين كان في قدميه ملامح لأنانية باطنة لم تر منها شبيهًا في قدمي زوجها. كان في عائلة أبيها الكبيرة وفي أبيها نفسه الكثير من العادات الإقطاعية التي لم تفارقهم؛ فكان من الطبيعي بالنسبة له أن يجعل أمها تربط له مشابك "التابي".

"تُرى هل يُعبر شكل القدم عن شخصية الإنسان؟!"

قالت "نوبوكو"، وهي تخلع الجوارب من قدمي زوجها.

"ربما"

"كما في ملامح الوجه وخطوط كف اليد؛ ربما أيضًا تُفهم شخصية الإنسان من شكل قدميه."

"ربما كان ذلك".

أجابها "ماكي ياما" دون اكتراث؛ وقد ترك قدميه لها آمنًا للتحصها كيف تشاء.

وبعد أن استبدل "ماكي ياما" ملابسه؛ عاد وكأنه تذكر حديثها ليقول لها :

"دعيني أر كيف تبدو قدماك".

قال لها وهو يشير بذقنه لقدمي "نوبوكو".

"لا؛ هذا أمر يخجلني"

قالت "نوبوكو"، وهي تهز رأسها رافضة وكمشت قدميها لتختبئ في أطراف الكيمونو. وغمرت وجهها حمرة طفيفة.

"لكن لا بد وأنا أرى؛ ربما كان هناك ما لا يسرني".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ليس هناك ما يستحق النظر إليه في قدمي. وما الذي يعود عليك من النظر إلى قدم امرأة ! "

" قد يكون الحق معك... "

تعجبت "نوبوكو" أن يكون زوجها لا يتذكر شكل قدميها، وهو الذي طالما لمسها وكثيرا ما نظر إليها لسنوات.

ارتشف "ماكي ياما" الشاي الساخن وظل صامتًا لبرهة ثم قال:

" سمعت هذا الحديث ذات مرة؛ أنه كانت هناك شاحنة صدمها قطار فدفعت الصدمة من كانوا بالشاحنة لتتناثر أجسادهم فوق القضبان فتقطعت أرجلهم تحت عجلات القطار. كان على متن الشاحنة مجموعة من الشباب - في طريق عودتهم من نزهة على شواطئ البحر - واقفين بالصندوق الخلفي. تلك الأقدام التي انفصلت عن أجساد أصحابها لم يستطع أحد أن يحدد أي قدم تكون لمن منهم. لكن عند حضور ذويهم استطاع كل منهم أن يتعرف بسهولة على قدم من يخصه ".

" نعم "

قالت "نوبوكو" مقطبة ما بين عينيها

" يبدو أنه أمر لا يخفى عن الأهل "

" يا له من حادث أليم".

وتراءت لـ "نوبوكو" قدم أبيها الراحل أمام عينيها. ثم حدثت زوجها عن أمر أمها وأبيها وأن أمها كانت دائمًا ما تخلع جوربي أبيها من قدميه وتلبسه "التابي". وصرحت له لأول مرة بأنها لم تكن تتذكر هذا الأمر وهي طفلة لكنها تذكرته فجأة بعد أن تحدد زواجها به.

" يبدو أنني قد أتذكر كثيرًا من أمور طفولتي إذا ما أصبح لي أطفال".

" قد يكون هذا أمر واردًا فعلاً ".

" لابد أنه كذلك. فلاشك أنني قد أتذكر الكثير مما أنساه الآن عن طفولتي عندما أنظر إلى أطفالي؛ وهذا يجعلني أتوق شوقًا لمثل تلك الأوقات".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لكني أراك تتذكرين الكثير عن أيام طفولتك. وها أنت تتحدثين بكل التفاصيل. "

" لكن على وجهك ملامح الامتعاض. يبدو لي أنك لا ترغب في أن تستمع لما أقول. "

" ليس الأمر كذلك؛ لكنني وجدت نفسي لا أتذكر شيئا مطلقًا ".

" إن عالم المرأة صغير لذلك تتذكر حتى سفاسف الأمور بكل تفاصيلها ".

" ليس الأمر كذلك؛ بل لأن المرأة تحب نفسها فقط وهذا هو مصدر قوتها ".

" ليس صحيحًا أنها تحب نفسها فقط. بل إنها توجه كل الحب للآخرين وتهمل نفسها. وإلا ما كان بمقدورها أن تكون زوجة أو أن تكون أُمًا ".

" أليس حبها لمن اتصل بها جسديًا يُعد تعبيرًا عن حبها لنفسها؟! "

امتعضت "نوبوكو". وشعرت بسطحية في كلمات زوجها. ورأت أن زوجها قد يكون لا يقصد سوى أن يمازحها ويستفزها؛ لكن ذلك لم يُذهب عن صدرها شعور بأنه يستخف بعواطفها.

" الواقع أنني لم أنعم بذاكرة قوية حتى في مجال العلم. ولأنني أدرك عدم قدرتي على الاعتماد على الذاكرة أصبحت لدي عادة لأن أعود للتأكد من كل أمر في الكتب؛ وبفضل هذا أصبحت معلمًا ".

هكذا قال "ماكي ياما"....

" أود أن تتذكرى كل شيء جيدًا بدلًا مني ".

" لكن ..... "

" ألا ترين كم سيكون ممتعًا في شيخوختنا أن تحدثيني عن حياتنا أيام شبابنا ".

" نعم ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أومأت "نوبوكو" وحركت مشاعرها كلمات زوجها التي لم تكن تتوقعها.

" حسنًا، فأكتب يومياتي إذًا؟ "

" يوميات؟ تكتبيها؟ "

بدا "ماكي ياما" وكأنه يفكر في الأمر...

" قد لا يكون ممتعًا أن تكون اليوميات مكتوبة. سيكون أفضل أن تتذكريها لي يا "نوبوكو" بنفسك ".

" ولكن ..... أنا أيضًا لا أستطيع أن أتذكر كل شيء. وكتابة اليوميات سوف يجعلها مؤكدة. إن ذاكرتي غير مأمونة؛ وأعتقد أنني أتذكر الأمور على غير ما وقعت بالفعل. فلا تثق بذاكرتي إلى ذلك الحد ".

" هكذا تكون ذكريات الإنسان؛ لا داعي أن تكون على قدر كبير من الدقة. فمتعتها أن تكون غير مطابقة لما حدث. ما عليك إلا أن تتذكريها كما تحلو لك أن تكون وهذا يكفيني. فسوف أستمع إليك بعد أن يمر العمر بنا وأنا أقول لنفسي - هكذا كانت تلك الأيام - وهذا ما أتمناه".

" إن كان الأمر كذلك فسوف أحفظ في ذاكرتي أقل ما يمكنني "

قالت "نوبوكو" وهي تبتسم:

" لكن إن لم تتذكر أنت الآخر فلن يكون الحديث ممتعًا ".

" لا يجب أن أتذكر أنا. إذا ما كنت متذكرًا فلن يكون هناك متعةٌ على الإطلاق ".

" ما هذا ؟! ولِمَ ذلك ....؟ "

لم تستطع "نوبوكو" أن تدرك مغزى ما قاله زوجها ....

" هذا شيء عجيب ! "

ومدت يدها وهي تقول ذلك لتمس يد زوجها - التي وضعها على حافة المجمرة[٣١] - مسًا خفيفًا.

---

(٣١) وعاء ياباني تقليدي - يستخدم في غرفة المعيشة - جسمه من الفخار أو الخشب يوضع به الفحم للتدفئة أو تسخين الشاي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قول "ماكي ياما" إنه يتطلع لأن يسمع ذكريات الماضي من "نوبوكو" عندما يتقدم بهما العمر؛ وإنه سوف يُسلم بما ترويه على أنه حدث بالفعل؛ جعل "نوبوكو" على يقين بأنه راضٍ عن حياته الزوجية وليس في وجدانه أدنى تمرد على حياتهما. ولا شك أن حبه لها هو ما يجعله ينوي أن يصدق كل ما سترويه "نوبوكو" وكما تتذكره هي.

ومع شعور "نوبوكو" بالبهجة راودها إحساس - مبهم السبب - بأنها يجب عليها أن تشمل زوجها بقدر أكبر من الرعاية. لكن أيضًا - وإن كان ضعف ذاكرته أمرًا صادقًا بقدر كبير - أن يترك أمر حفظ ذكريات حياتهما الاثنين معًا على عاتق "نوبوكو" وحدها؛ فهذا ينم عن نرجسية طاغية في زوجها.

وربما كان الحق عليها أن جعلته يتمادى إلى هذا الحد فهي تقوم حتى بتثبيت مشابك "التابي" من أجله.

لكن "نوبوكو" رأت - أن حفظها هي للذكريات أفضل من أن يحفظها "ماكي ياما" - وتصورت كم سيكون مبهجًا أن تستعيد ذكريات الماضي لحياتهما الزوجية بعد أن يتقدم بهما العمر. وأدهشها هذا كثيرًا. وكانت دهشتها أن استشعرت في طيات تصورها المستقبلي ذلك ليس فقط اختلافا بين رجل وامرأة بل أيضا اختلافا بين شخصيتها وشخصية زوجها.

كان كل من يزور منزل "ماكي ياما" يشهد بأن "نوبوكو" زوجة مثالية. فكان الجميع دون استثناء يمتدحونها بأنها تعتني به عناية فائقة.

" تبدو الزوجة مثالية عندما يكون الزوج معيبًا "

هكذا كانت العبارة التي يرد بها "ماكي ياما" دائمًا على ضيوفه وهو يبتسم؛ فيجيبه الضيف بعبارة ثابتة لا تتغير فيقول له بابتسامة " ليس الأمر كذلك؛ بل لأن الزوج مثالي أيضًا "؛ فيتجهم وجه "ماكي ياما" لسماع تلك الإجابة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## (٢)

ماتت أم "نوبوكو". وتقرر أن تكفل "نوبوكو" ابنة عشيقة والدها "كيكو" في منزلها بطوكيو. وبالطبع كان "ماكي ياما" معارضًا لذلك. فعندما قررت أم "نوبوكو" أن تكفلها في بيتها بالقرية كان "ماكي ياما" أيضًا معارضًا. كان "ماكي ياما" يرى أن مسألة "كيكو" قد توصلوا لتسويتها بعد وفاة والد "نوبوكو" فما الداعي أن تظل هناك علاقة بها ونعرض من جانبنا كفالتها رغم أنها لم تشتك من شيء؟!.

" قبل كل شيء ألا ينبغي أن يكون هذا أمرا محجلا لأمك. ألم يكن من الطبيعي أن تبغض تلك الفتاة؟ ".

ورغم كل ما قال لم تستطع "نوبوكو" أن تبغض "كيكو"؛ - وقد يكون ذلك لأنها كانت تعيش بعيدًا عنها - كانت حتى تشعر تجاهها بعاطفة باعتبارها أختها الوحيدة.

ولأنها كانت تريدها أن تعتني بأمها فكانت ترسل لها من حين لآخر بعض الهدايا من المنسوجات وخلافه دون علم "ماكي ياما". وتمنت "نوبوكو" أن لو استطاع "ماكي ياما" أن يتفهم شعور أمها بالوحدة الذي دفعها إلى أن تكفل ابنة عشيقة زوجها.

استسلمت الأم طائعة لأمر وجود عشيقة لزوجها. وكما قال "ماكي ياما" فهي لم تأخذ الأمر على أنه إهانة للزوجة. فهي تلك الأم التي كانت ترسل الهدايا إلى ابنة عشيقة زوجها عندما تنتقل من سنة دراسية إلى السنة أخرى.

عندما رأى "ماكي ياما" "كيكو" للمرة الأولى في مراسم عزاء الأم....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إنها ليست جميلة ".

قال بنبرة الذي رأى ما لم يكن يتوقعه.

" هل كنت تظن أنها فتاة جميلة؟ "

امتعضت "نوبوكو" لتصورها أن "ماكي ياما" قد ظن أن تكون ابنة العشيقة أكثر جمالا من ابنة الزوجة. وكانت "كيكو" طويلة القامة بشكل ملحوظ؛ بارزة العظام ولم تكن بها رقة الملامح الأنثوية. وكان وجهها يبدو أكثر سمرة من جسدها. لكن شعرها الأسود الداكن كان جميلا. إذا ما ابتسمت بدا على وجهها ملامح من والد "نوبوكو".

إذا ما طُلب منها المساعدة في أعمال المطبخ كانت تتناول أدوات المائدة برعونة.

كانت أمها تتعامل مع أثاث المنزل ومقتنياته القديمة بعناية شديدة حتى إنها كانت تمسح رواق البيت وأعمدته باهتمام شديد؛ فشعرت "نوبوكو" بشفقة على أمها لتحملها تلك المعيشة المؤلمة.

بدأ "ماكي ياما" يتحدث في بيع بيت القرية ما دام أنهما سوف يكفلان "كيكو" وسيصبح البيت لا فائدة منه. وقال إنه قد حان الوقت لبيع الحقول الزراعية والأرض الجبلية.

اندهشت "نوبوكو".....

" لكن..... ها نحن نعيش حياة كريمة وليس لنا حاجة في أي شيء..... "

أرادت "نوبوكو" أن تتحدث بصوت هادئ لكن نبراتها كانت مرتعشة؛ بل كانت مرتعدة حتى إنها شعرت وكأن قشعريرة باردة تسري في ظهرها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" دع هذا الأمر لوقت لاحق قليلا..... "

" الأمر لكِ؛ فهي كلها ممتلكاتكِ يا "نوبوكو" ولم أكن أقصد أن أدفعكِ لأن تفعلي شيئا ".

" لا أنظر إليها على أنها ممتلكاتي؛ فهي لك أنت ".

•

.

قالت "نوبوكو" في قلق وانزعاج.

" لكن؛ ألا تشعر بقلق من المعيشة في طوكيو؟ حتى وإن كان لدينا أسهم فهذا أمر لا يجعل ريفية مثلي تشعر بالأمان. أما الحقول والغابة الجبلية ؛ أليست مصدر أمان لنا؟ إذا ما فرطنا في ممتلكات القرية فسنصبح بلا جذور ".

" هذا رأيك لأنك قضيت حياة مبهجة بالقرية ولا تزالين متعلقة بأطلال تلك الأيام السعيدة. أما من قضى حياته في عناء مثلي فلا تخدعه أحلام الثروات؛ فأنا لا أحكم على الأمور إلا من خلال حسابات دقيقة ".

لم تستطع "نوبوكو" أن ترد على ما قال؛ فهي تعلم أن "ماكي ياما" يدرك طريق الربح ولاشك أنه يُقيِّم الأمور بمقياس الربح والخسارة. لكنها وجدت صعوبة في أن تقتنع ببيع منزل القرية والأراضي دون وجود ضرورة ملحة لذلك. ربما كان الأمر مقبولا لو كان زوجها تاجرًا أو رجل أعمال؛ لكنه رجل علم يعيش حياته في هدوء. وأراد "ماكي ياما" أن يخفف من توتر "نوبوكو" فقال لها :

" هل توافقين على بيعها إذا دخلت مجال المضاربة في الأسهم واضطررت للاقتراض من الآخرين؟ "

" ماذا ؟ في هذه الحالة لن يكون أمامنا سوى ذلك ".

قالت "نوبوكو" وهي تضحك. وكان هذا أمرًا مستبعدًا أن يفعله "ماكي ياما". وتوقف الحديث عن الأمر عند هذا الحد.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منذ أن حضرت "كيكو" إلى طوكيو، وهي تعتمد في انصباع تام على "نوبوكو" في كل أمورها؛ أما "ناكي ياما" فلم تشعر بألفة تجاهها مطلقًا. وكذلك "ماكي ياما" أيضًا لم يكن يطلب منها طلبًا واحدًا، وإذا كانت هناك ضرورة ليبلغها بشيء ما فكان يطلب من "نوبوكو" أن تخبرها بهذا الأمر.

" إنها ملتزمة الصمت دائمًا فلا أعرف فيمَ تفكر تلك الفتاة؟ "

حاول "ماكي ياما" أن يصور "كيكو" على أنها شيء عديم النفع.

" هذا ليس صحيحًا؛ إنها ثرثارة ".

لكن "نوبوكو" لم تحاول أن تصلح ما بين "ماكي ياما" و"كيكو". فقد كانت "نوبوكو" تستشعر أن "كيكو" بدأت تتحدث عن "ماكي ياما" بشيء من الاستهجان. فعندما كانت "نوبوكو" تضع "التابي" في قدمي زوجها؛ كانت "كيكو" تقف بجوارها وتنظر إليها وعلى وجهها ابتسامة ساخرة وكأنها تقول: فيم هذا التعالي وهو ابن للعائلة بالتبني؟!.

تألمت "نوبوكو". فقد شعرت أن تلك الابتسامة الساخرة لم تكن هي وحدها المقصودة بها بل كانت لأمها أيضًا. تُرى هل كان أبو "نوبوكو" يجعل عشيقته تربط له مشابك "التابي" عندما يكون في بيتها؟ فقد كانت "نوبوكو" عندما ترى "كيكو" تظن أنه لم يكن يفعل هذا الأمر في بيت أمها.

تُرى هل كان أبو "نوبوكو" يرتدي معطف المنزل الفضفاض وقد صبغت ياقته الأوضار؟ ثم يتركونه نائمًا مستلقيًا في إهمال وسط بيت قد تبعثر كل ما بداخله. تُرى هل كانت تطلب له أطعمة - المعجنات والفول المسلوق المُحلى بالسكر وما شابهها - من ذلك المطعم الرث بالقرب من بيتها ليأكل. كانت "نوبوكو" أحيانًا ما ترى "كيكو" كونها الفتاة التي ولدت من ذلك الجانب الدنس والبذيء من حياة أبيها.

وفي يوم ما؛ اختلفت نظرات "كيكو" إلى "نوبوكو".

فكانت "كيكو" عندما ترى "نوبوكو" تخلع الجوربين من قدمي زوجها تغض بصرها عنها. فانتبهت "نوبوكو" إلى أمر أدهشها. فقد تذكرت حين عادت إليها ذاكرة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمها - بعد أن تقرر زواجها من "ماكي ياما" -؛ فراودتها الشكوك أن تكون "كيكو" قد أصبح لديها من تحبه.

وبالفعل لم يكن حدس "نوبوكو" مخطئًا. ـــــــ صارحتها "كيكو" بأنها تواعدت على الزواج بـ "ساغاوا". بل وبأنها تحمل طفله في أحشائها.

لم تجد "نوبوكو" مناصا من أن تستشير "ماكي ياما" في هذا الأمر؛ وعلى الفور أرسل "ماكي ياما" بالبريد السريع إلى "ساغاوا" ليحضر إليه.

و"ساغاوا" هو رجل يعمل مساعدًا لـ "ماكي ياما"؛ وكان يتردد على البيت بشكل دائم. وقد استطاع الحصول منذ فترة قريبة على وظيفة للتدريس في مدرسة بمنطقة نائية بفضل توصية من "ماكي ياما".

(٣)

طلب "ماكي ياما" من "نوبوكو" أن تحضر معه اللقاء عندما يأتي "ساغاوا"؛ وكانت "نوبوكو" تجلس قريبا من المرآة فقام ووقف إلى جوارها وهو يقول

" بما أنه لم يحضر بعد ثلاثة أيام ولا حتى أربعة أيام رغم إرسالي خطابًا بالبريد السريع؛ فأظن أن الموضوع معقد بعض الشيء ".

" أظن ذلك. لكن خلال هذه الأيام تأكدت أنها لم تحمل وهذا أمر جيد ".

"ماكي ياما" في ذهول :

" وكيف تأكدت من ذلك؟ "

" ما هذه السذاجة ؟ "

وما إن دخلت "نوبوكو" غرفة استقبال الضيوف حتى وقعت عيناها على "ساغاوا" يجلس في خشوع واحترام شديدين....

" عندما استلمت خطابك يا معلمي كان علي أن أحضر على الفور؛ لكنني كنت أحتاج بعض الوقت للتفكير..... "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال "ساغاوا" وعلى وجهه ظلال شاحبة:

" لقد أدهشني الأمر. أعرف أنك رجل جاد فكان عليك أن تستشيرني في الأمر من البداية. وإن كنت أدرك أنه ليس من اليسير أن تصارحني بمثل هذه الأشياء ".

" نعم ".

وبعد أن ظل "ساغاوا" مطأطئ الرأس لفترة.....

" عندما استلمت خطابك أردت أن أعيد التفكير في الأمر لإدراكي المسئولية التي أصبحت على عاتقي. "

" تُعيد التفكير.....؟ "

" فيما يخص الجنين ".

" الجنين؟ لا يوجد جنين ".

" ماذا.....؟! "

قال "ساغاوا" وكأنه يتلفظ من جوفه:

" أهو كذلك؟ "

قال هامسًا، وهو يختلس نظرة ثاقبة إلى "نوبوكو".

ويبدو أن "ماكي ياما" لم يشعر بالارتياح لسلوك "ساغاوا" ....

" لكنك سوف تلتزم بوعدك لها؛ أليس كذلك؟ "

" وعد.... ماذا؟ .....أنا لم أتواعد مع "كيكو" على أي شيء..... "

" تقول "كيكو" أنكما تواعدتما على الزواج ".

" هذا لم يحدث؛ ومن المفترض أن "كيكو" تعلم هذا جيدًا. وعلاقتنا كانت على هذا الأساس منذ بدايتها. فلم نكن مرتبطين ببعضنا ".

" إذن فعلى أي أساس كانت العلاقة؟ "

" لا أنكر أنني أتحمل المسئولية؛ لكن "كيكو" كذلك أيضًا؛ فالمسئولية مناصفة بيني وبينها ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صمت "ماكي ياما" برهة ثم قال :

" إذا لم يكن هناك جنين فلا بأس؛ أما إذا كان هناك جنين فكنت ستتزوجها.... أهذا ما تقصده؟ "

" لا. لا أفكر بهذا القدر من السفه. فليست لدي النية في الزواج حتى إن كان هناك جنين. لذلك كنت متحيرا فيما سيكون مصير الطفل في اليومين الماضيين ".

" ولا يحيرك أمر "كيكو"؟ "

" لقد اتفقت و"كيكو" على أن ننهي العلاقة. وكان قرارنا أن ننهي الأمر على الفور كخطأ وقع فيه كلانا ".

ارتعشت شفاه "ماكي ياما" من الغضب.....

" ألا تستحي أن تتلاعب بفتاة من بيت له عليك فضل ثم تقول هذا الهراء؟ "

" أنت أسأت فهمي يا معلمي؛ وقد توقعت أن يحدث هذا؛ لذا أحضرت معي يومياتي المدونة ".

" يوميات؟ "

نظر " ماكي ياما " إلى "نوبوكو".

" أعتقد إن ألقيت نظرة عليها فسوف تفهم مقصدي. لقد أعدت قراءتها فلم أجد أنني كنت وحدي المخطئ".

" أنت تكتب يومياتك؟ "

" نعم. "

" هذا استعداد متقن يستحق التقدير. دعني أرها إذًا ".

" نعم. لكن إذا كان هناك بد من أن يراها أحد؛ فلتكن زوجتك هي التي تقرأها ".

قال "ساغاوا" وهو يمد يده بالمذكرات إلى "نوبوكو".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت "نوبوكو" منذ بدأ الحديث تنظر إلى سلوك "ساغاوا" المتحجر والذي لم يظهر أدنى قدر من الضعف؛ ومن فرط اندهاشها كانت تنظر إليه، وهي في نشوة الانبهار. وفتحت "نوبوكو" مذكرات "ساغاوا" تتصفحها بذهن صاف؛ ووجدت أن بعض صفحاتها كانت مثنية فظنت أنها ربما تكون الأيام التي قابل فيها "كيكو". لكنها ما إن قرأت سطرين أو ثلاثة منها حتى بدا وجهها شاحبًا. وأخذت ركبتاها تلتصقان ببعضهما بعضا في شدة حتى لا يتبين ارتعاشها.

كانت "نوبوكو" هى من يحبها "ساغاوا" هي. ولم يكن إقدامه من منطلق بصبح ليس من منطلق إجلاله لعلم "ماكي ياما" بل سحر "نوبوكو" هو الذي دفعه لذلك حتى يستطيع أن يتردد على البيت الذي تسكنه.

وكانت "كيكو" هي وحدها التي كشفت هذا الأمر. وهي التي عرضت على "ساغاوا" أن تنقل مشاعره إلى "نوبوكو" وتبين لها حالته وما إلى ذلك من ذرائع لتقرب منه وتنصب له الشراك ثم ألقت بنفسها في أحضانه؛ فانتهى الأمر بـ "ساغاوا" أن وقع مهزومًا في شراك إغواء "كيكو" وقد هزمه إلحاحها وبكاؤها. وكان انفراط مشاعره من الأسباب التي دفعته للذهاب إلى الريف والبعد عن "نوبوكو".

لم يكن وضع "نوبوكو" طبيعيًا وهي تقرأ المذكرات؛ فسألها "ماكي ياما" متشككًا:

"كيف وجدتها؟ هل "كيكو" مخطئة؟"

"آه؛ نعم."

لم ترفع "نوبوكو" وجهها.

"أهو كذلك؟ إذًا على أية حال فلندع "كيكو" إلى هنا لتتحدث هي و"ساغاوا" حتى يجدا ما يرضي كليهما".

"نعم".

"نادها يا "نوبوكو"."



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" نعم. "

وما إن همت "نوبوكو" بالخروج.....

" سيدتي ! "

استوقفها "ساغاوا".....

" سيدتي ! أستأذنك أن تعيدي إلي مذكراتي ".

فعادت "نوبوكو" لتعطيه المذكرات.

" ربما من الأفضل ألا نكون نحن هنا ".

وخرج "ماكي ياما" هو الآخر مع "نوبوكو" من غرفة الضيوف.

" ما رأيك؟ هل الأمر معقد للغاية؟ "

أغمضت "نوبوكو" عينيها؛ وأمسكت بكتف زوجها، وكأنها تتهاوى، وهي تهز رأسها مرتين أو ثلاث.

مر بعض الوقت ثم ذهب "ماكي ياما" إلى غرفة الضيوف لينظر ما بها.

" تعالي يا "نوبوكو"؛ لقد رحل "ساغاوا". يا "نوبوكو"! "

ناداها بصوت عالٍ.

" يا له من صفيق. أهكذا يرحل هاربا دون أن يلقي السلام؛ ما هذا الرجل؟! "

فور أن دخلت "نوبوكو" إلى غرفة الضيوف تشبثت "كيكو" بركبتها وانفجرت في البكاء.

" يا أختي سامحيني؛ سامحيني. أختاه ".

كانت "نوبوكو" شاردة ولم تنتبه حتى شعرت بقطرات دافئة تسيل على وجنتها؛ فأخذت تمسح برفق على ظهر "كيكو".

وكانت تلك المرة الأولى التي يشعران فيها بمشاعر الأخوة.

في تلك الليلة؛ قالت "نوبوكو" لزوجها، وهي تخلع له "التابي" من قدمه وتساعده في ارتداء ملابس النوم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" هل تسمح لي أن أصطحب "كيكو" إلى منزل القرية لبعض الوقت؟ أشفق عليها كثيرًا لذلك أريدها أن ترتاح في هدوء ".

"لابأس. لكنني لا أفهم تلك الفتاة. لماذا لا نحاول مع "ساغاوا" مرة أخرى؟! وإذا لم يغير تفكيره فعلينا أن نجد لها زوجًا في القرية في أسرع وقت ".

" نعم ".

" أليست "كيكو" في الرابعة والعشرين؟ "

" أجل؛ في الرابعة والعشرين"

" إذًا هي تصغرك بثلاث سنوات ".

"نعم".

لم تستطع "نوبوكو" أن تخلد إلى النوم.

كانت تتعجب من تلك البلادة التي جعلتها لا تنتبه ولا حتى في أحلامها لما يكنه "ساغاوا" من مشاعر حب تجاهها. تُرَى أيشغل زوجها فقط بالها إلى هذا الحد؟ دموع لا تعرف لها سببًا بللت وسادتها. كانت "نوبوكو" تحيا حياة مبهجة ولا شك أن تلك البهجة سببها حبها لزوجها. لكنها لم تستطع تجاهل كون ذكريات حياتها قد اختلفت عن ذكريات حياة زوجها بسبب "ساغاوا". ترى هل تستطيع أن تروي لزوجها بعد أن يتقدم بها العمر عن أمر "ساغاوا" وهي تحدثه عن ذكرياتها؟! وكانت "نوبوكو" على قناعة من أنها يجب أن تصل إلى تلك القدرة التي تمكنها من أن تخبره بصدق.

لم تعارض "نوبوكو" زوجها في شيء سوى أمر بيع البيت والأرض. ورغم ذلك فقد أخذت برأي زوجها بأن تتشاور في الأمر مع الأقارب؛ فاصطحبت "كيكو" معها وذهبت إلى القرية.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# " ٧ "

# طفـــل واحـــد



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أدرك "موطودا" من الوهلة الأولى أن تلك التي ترقد علي بطنها متألمة هي "يوشيكو". ومن النافذة بغرفة الأطباء كانت هناك شجرة من أشجار "البيزيا"[٣٢]؛ من خلال أغصانها رفع "موطودا" بصره ينظر إلي غرف المرضى بالجانب الآخر من الحديقة الداخلية للمشفى؛ ورغم بُعد المسافة حتى إنه لم يميز حتى نقوش الملابس التي ترتديها "يوشيكو" فإنه استطاع أن يسمع صوت تقيؤها. ولم يكن هناك ما تتقيأه؟ سوى تلك الصفراء والتي تكاد تكون أشبه باللعاب؛ فتوجع "موطودا" هو الآخر لحالتها.

" سنتابع حالتها لثلاثة أو أربعة أيام لكن بعدها إذا ما تأكد خطورة وضع الأم فلن يكون هناك بد من الاستسلام؛ ولكن علي أية حال فسوس أطلعك على الموقف قبل التصرف ".

هكذا كان حديث الطبيب إلى "موطودا"

" فهمت ".

كان "موطودا" يطيل النظر ناحية غرفة "يوشيكو" وكأنه يتحاشى النظر إلى الطبيب. وكانت تراوده شكوك أن يكون الطبيب لا يعلم أنهما متزوجان رسميا. فعندما حضرا في المرة الأولى إلى العيادة للفحص كانت كلمة الطبيب "أصبح الوقت متأخرًا قليلا لعمل ذلك" تنطوي على أصداء شكوك حول علاقتهما.

"يوشيكو" تلك الفتاة - ضئيلة الجسد - والتي تخرجت لتوها هذا الربيع من مدرسة البنات؛ لم تكن تبدو غير فتاة قد يناسبها أكثر نطاق الخصر الذي يستخدمه الفتيان. ولم يكن شعرها قد بلغ القدر من الطول الذي يمكنها من أن تجدله؛ فيا لها من

---

(٣٢) "البيزيا" أو شجرة "زهرة الحرير" من الفصيلة البقولية وموطنها جنوب شرق آسيا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قسوة عارمة أن ينهك غثيان الحمل مثل ذلك الجسد الواهن! أبت "يوشيكو" الذهاب إلى المشفى؛ وشعر "موطودا" كذلك بالخجل من الذهاب معها فكان يؤجل الأمر يومًا بعد يوم.

عندما نودي اسمها لتدخل إلى غرفة الكشف؛ رجعت "يوشيكو" خطوتين أو ثلاث للخلف وتوقفت وهي تنظر إلى "موطودا". ربما كانت تحاول أن تبتسم له لكنها انتبهت لغرابة تصرفها فصبغت وجنتيها حمرة؛ حتي التفتت الممرضة هي الأخرى إلى "موطودا" تنظر إليه. وحتى بعد دخولها المشفي حاول "موطودا" مرارًا أن يخبر من بالمشفى أنهما متزوجان ولكن لم تسنح الفرصة له أن يفعل.

" هل سبب كل هذا اللألم يرجع إلي زواجها في سن مبكرة؟ "

قال "موطودا" للطبيب متسائلا.

" لا؛ ليس الأمر كذلك. إنها طبيعة جسدها ".

أجابه الطبيب وهو ينظر هو الآخر إلي غرفة "يوشيكو".

زرقة سماء قلما تكون في موسم الأمطار الصيفية؛ تبدو أزهار "ألبيزيا" ذات الألوان الوردية الفاتحة وكأنها تطفو فوقها. من أسفل تلك الأزهار الوردية أوراق الشجر الخضراء ومن بين الأوراق كانت هناك نافذة يرى من خلالها "يوشيكو"؛ وهي حقًا تبدو لمن يراها صبية صغيرة. كانت يوشيكو تضغط على بطنها بكلتا يديها بقوة؛ وركبتاها مثنيتان وملتصقتان بصدرها؛ كتفها كان على حافة الفراش مالت عليه رقبتها تهزها، وهي تتلوي من الألم فبدت وكأنها قد تسقط من الفراش على رأسها بين لحظة وأخرى.

اندفع "موطودا" مذعورًا وهو يخرج من غرفة الأطباء، وما إن دخل غرفة "يوشيكو" وحاول أن يحتضنها ليساعدها علي النهوض حتى ارتمت وقد التصقت وجنتها علي صدره وكانت أنفاسها تتحشرج في تأوه شديد.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" أين ذهبت تلك الممرضة؟! "

" لا أريد مرافقة ! لا أريد مرافقة ! "

قالت "يوشيكو"، وهي تتشبث بذراع "موطودا" وتهز رأسها لتستوقفه؛ وكان كفها يتعرق عرقا باردا. ومسح "موطودا" لها جبهتها؛ثم أمسكت يوشيكو بكُم ثيابها ومسحت به ما كان حول فمها من لعاب. وحاول "موطودا" أن يساعدها لترتدي ملابس النوم فطلبت منه أن ينتظر قليلا ومدت ساقيها لترقد على جنبها؛ فسألها.

" هل تتألمين؟ "

" لا "

أجابته وهي تبتسم:

" انظر؛ أين ذهب الألم؟ تري ما الذي حدث؟ يا له من شيء عجيب ها قد شُفيت. ترى هل هذا لأنك موجود معي هنا الآن ؟ "

ناولها "موطودا" كوبًا؛ فأغمضت عينيها متلذذة وهي ترتشف الشاي؛ ثم ضمت شفتيها كأنها تصفر وهي تتبسم ضاحكة.

" أليس من الأفضل أن تأكلى شيئا الآن؟ "

" لا؛ لا أرغب. من فضلك لا تذكر لي شيئًا عن الطعام. قد تسوء حالتي لذكره. "

أحضر "موطودا" الماء من حوض الغسيل وأخذ يمسح لـ "يوشيكو" جسدها. كانت "يوشيكو" تجلس علي الفراش لكن جسدها كان خائرًا حتى إن "موطودا" لو لم يمسك كتفها بإحدى يديه لسقطت متهاوية.

شعر "موطودا" بليونة ورقة عظام كتف "يوشيكو" من خلال أصابعه؛ وبدا واضحًا له ذلك الشعر الوبري الممتد من رقبتها - رقبة الطالبة التي ذهبت عنها فجأة سمرة سببتها آشعة الشمس وعادت بيضاء - حتى ظهرها.

أسدلت "يوشيكو" ستار النافذة وطلبت من "موطودا" أن يمسك مقبض باب الغرفة؛ فوقف عند الباب ينظر آسفًا إلى حوضها الذي قال الطبيب إن الولادة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقرب لأن تكون محالة بسببه. ـــــــ عندما كانت الممرضة تقيس لها الحوض لم تشأ "يوشيكو" آلامًا لكن آثار القياس كانت لا تزال باقية على جسدها.

وبعد أن ارتدت "يوشيكو" كيمونو جديدًا؛ فركت ما بين أصابع قدميها فأخرجت شوائب سوداء. وبينما ينظر "موطودا" متأففًا رفعت "يوشيكو" وجهها وسألته:

" لقد قابلت الطبيب أليس كذلك؟ "

" نعم "

" ماذا...؟ أجبني ماذا قال لك؟ مستحيل؟ هل قال لك إنه مستحيل؟ "

أمطرته بالأسئلة وقد أجهشت بالبكاء.

" لن أسمح بذلك؛ مهما كان الأمر فسوف أضع هذا الجنين؛ دعني ألده ولو أودى بي. عدني أن تسمح..... سألده حتي لو كلفني ذلك حياتي".

وكانت مرتعدة وشفتاها ترتعشان

" لا تقلقي. بالتأكيد سيكون كل شيء على مايرام . كل ما عليك أن تأكلي يا "يوشيكو" وسيكون كل شيء كما ترغبين".

" حقًا؟ إذًا سآكل كل شيء يقدم لي".

وما إن قالت ذلك حتي أصابتها رعشة وشحب وجهها وشعرت بغثيان. فتركها لتنام.

" أعطني هذه الصورة من فضلك..... "

كانت الصورة هي تلك الصورة التذكارية لحفل تخرجها في مدرسة البنات؛ وقد أحضرتها "يوشيكو" معها إلى المشفى.

" غدًا؛ سأموت أليس كذلك؟ "

" لا تقولي هذا؛ كم أنت حمقاء".

" ألا ترى هذه؟ أنا وحدي وكأنها صورة لشخص قد مات. أليس كذلك؟ لا بد أنني سأموت".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما التقطت تلك الصورة كانت "يوشيكو" الوحيدة التي تغيبت؛ وفي الصورة زميلاتها من الخريجات يصطففن ومن فوقهن وضعت صورة منفردة لـ "يوشيكو" تمت إضافتها فيما بعد. لم تحضر "يوشيكو" مراسم التخرج لأنها كانت قد هربت من بيت عائلتها وذهبت إلى "موطودا". وكانت "يوشيكو" من عائلة في إحدى المدن الريفية التى تعمل في تصنيع الخمور؛ فكان التخرج يعني لهم أنه قد حان الوقت للبحث عن زوج لها. وكانت "يوشيكو قد صارحت أمها بعهدها مع "موطودا" على الزواج. وبالطبع لم يكن "موطودا" - ذلك الشاب ابن صانع حصير "التاتامي" الذي تخرج بالكاد في الجامعة - بالشخص المناسب لها ولم يكن هناك سبيل لأن تسمح لها عائلتها بالزواج منه.

صب عليها أبوها - سيد البيت ذو الطباع التقليدية القديمة - السباب واللعن صبا؛ وربما غادرت البيت لتنفس عن غضبها فهربت إلى منزل "موطودا".

عاد "موطودا" إلي منزله وإذا به يجد "يوشيكو" جالسة وقد تورم جفناها. ربما كان عليها أن تخبر "موطودا" أن ترسل له برقية من القطار أو تتصل به هاتفيا في محل عمله لكن لم يكن لديها ذلك القدر من الحكمة؛ فكانت تبكي مرتعدة حتى رأت "موطودا"؛ استقبلته بمشاعر من بهجة - لاتخلو من إحساسها بالبؤس - وكأنها كانت تنتظر شخصًا ما كان ليأتي إلى هذا المكان.

رغم أن "يوشيكو" لم تكن بتلك الحبيبة التي خرجت لمغامرة براقة وإنما كانت الفتاة التي تحاول أن تتحرر من قيود أحزانها فإن هذا ما جعل "موطودا" يفتح لها ذراعيه ويحتضنها. أما عائلة "يوشيكو" فلم تكن تتصور أن ابنتهم لديها من الجرأة ما يجعلها تقدم على أن تهرب إلى بيت "موطودا". فظلوا يبحثون عنها في منازل الأقارب ومنازل الأصدقاء إلى أن اهتدت أختها الكبرى لبيت "موطودا" وكان ذلك بعد أربعة أو خمسة أيام من هروبها. لكن في نهاية الأمر قد عادت "يوشيكو" بصحبة أختها الكبرى. وحين أدركوا أن في أحشائها جنينا تعجل بـ الزواج. وكان ذلك بعد مرور ثلاثة أشهر على وجه التقريب. فأقاموا مراسم الزواج في طوكيو وكأنهم يختبئون.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومع ذلك كانت أمها تقيم معها لفترة في منزل الزوجية لشراء وتحضير ما يلزم ابنتها العروس. ولا نبالغ إذا قلنا إن العروسين قد بدءا حياتهما الزوجية بغثيان الحمل العنيف الذي لازم "يوشيكو".

وكانت مدينة "يوشيكو" الريفية مدينة صغيرة فسرعان ما انتشر خبر ما حل بها في مدرسة البنات. ورغم أن "يوشيكو" قد اجتازت الامتحانات كلها وحصلت على درجات التفوق لكنها لم تحضر مراسم التخرج وهربت إلى حبيبها؛ فثارت ضجة وطالب البعض بحرمانها من الحصول على شهادة تخرجها.

و كلما نظرت إلى صورة التخرج التذكارية هذه تذكرت تلك الأيام. ووجود صورة "يوشيكو" وحدها في مكان فارغ أعلى تلك الصورة التذكارية بعيدة عن الجمع هي بمثابة ذكرى لارتباطهما. وهي كذلك بمثابة لحن خالد يرتل انتصار حبهما.

وكلاهما الآن؛ لا يراوده شك في أن مشهد "يوشيكو" البائس وهي تنتظر عند بيت "موطودا" كان مشهدًا لترانيم الحب؛ وأن مغامرة هروبها هي لهيب العاطفة. وقد يكون السبب في أن "يوشيكو" تمسك بهذه الصورة وتتأملها من حين لآخر؛ أنها لا تزال تشعر بحنين إلى مدرستها. لكن قولها إنها تبدو في الصورة كشخص قد فارق الحياة هو أمر لا يستطيع "موطودا" أن يبتسم ويتجاهله.

وَضْعُ صورة "يوشيكو" وحيدة أعلى تلك الصورة أمرٌ قد يُتصور منه أن لها قدرًا يختلف عن الآخرين؛ وحتى إنه نذير شؤم؛ فواقع الأمر أن العادة قد جرت على وضع صورة المتوفى بمثل هذا الشكل على الصور التذكارية.

كان غثيان الحمل الذي أصابها من نوع خبيث؛ وكان جسدها قد وهن لدرجة جعلتها في حاجة إلى أن تُحقن بأدوية من المقويات. وحتى بعد أن تمر فترة الغثيان قد يتطلب الأمر إجراء جراحة قيصرية لها قبل أن يكتمل شهرها ولم يكن الأطباء على يقين من عواقبها. ويقول الطبيب إن حالتها إذا ما استمرت على ما هي عليه فسوف تكون حياتها في خطر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد يكون قولها بإنها على استعداد لأن تلد الطفل حتى إن كان ذلك سيتسبب في موتها من قبيل خلل عقلي بسبب الحالة المرضية التى تعانيها أكثر منه شعورًا بعاطفة الأمومة. لكن "موطودا" على أية حال يُقدر تمامًا رغبتها في أن تلد الطفل. فلولا الطفل ما كان للاثنين أن يرتبطا بالزواج. أضف إلى ذلك أن هذا الطفل بالنسبة لها هو قلب تألم، وهو طريق من المشقة تجاوزته "يوشيكو" إلى أن وصلت إلى الزواج. والتضحية به سوف تكون بمثابة فجوة في حياتها المقبلة لا قبل لها بتحملها. قد يكون لديها خوف من الإحساس بالذنب ولكن الأشد وطأة من هذا الخوف هو شعور بالقلق تعجز الكلمات عن وصفه. فكان تشبث "يوشيكو" بهذا الطفل تشبثًا أعمى لا قيمة للأسباب معه.

" في قاعة المراسم بالمدرسة؛ تصطف الصور التذكارية لمراسم التخرج لجميع الدفعات منذ إنشاء المدرسة. لا بد أن من يرى صورتي سيسخر مني. لكن تُرى إن مت هل سيشعرون بالأسف من أجلي ؟! "

ثم ألقت "يوشيكو" الصورة من يدها وأغمضت جفنيها. في جفنيها المقعرين كانت مقلتاها تتحركان دون توقف. دمعها لم يكن ليتوقف؛ وكأن غددها الدمعية قد حدث بها خلل.

" ما يجعلني أرحل الآن أنني سوف أصطحب الطفل معي؛ وإنني لآسفة إن كان هذا يعني الموت لك أنت أيضًا. ولكني أتمنى لك أن تحيا سعيدًا. "

قالت "يوشيكو" وهي تخرج ورقةً من تحت وسادتها. عندما نظر "موطودا" إلى الورقة وجدها قد دونت بها ملابسه وسراويله الداخلية وصنفتها إلى صيفية وشتوية وقد حددت بالتفصيل مكان كل منه في أي من أدراج خزانة الملابس تكون؛ وقد دونت كذلك قائمة بأدوات المطبخ وأماكنها.

" كتبت هذه حتى لا يكون الأمر مخجلا وترتبك حين يجتمع الناس ".

" لن يحدث أمر يدعو للارتباك ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعر "موطودا" بظلمة تغلف صدره. يالها من "وصية" يملؤها الأسى. قد كتبتها بقلم الرصاص وبعناية فائقة تليق بطالبة مدرسة البنات المتفوقة. وأخيرًا قرر "موطودا" أن يطلب من الطبيب حسم أمرها.

أعماق عيني "يوشيكو" المبتلة كانت صافية إلى حد بعيد مما جعل "موطودا" يرتعد من ظلال للموت رآها بها. ثم أخذ يمسح لها جسدها المبتل بالعرق فلمس ثديها الصغير فوجده الموضع الوحيد البارد بجسدها؛ وحول "موطودا" بصره عنها وصرف جفنه.

ورغم هذا تبدل الأمر؛ فقد شُفيت "يوشيكو" من غثيان الحمل وكأن شيئا لم يكن. لا شك أن المعالجة قد آتت ثمارها؛ لكن الأمر قد بدا وكأن روحًا شريرة كانت تمر بالمكان وولت. وأصبحت "يوشيكو" تأكل بشراهة فزاد وزنها في أيام قليلة. وغدت تتحرك في دأب طوال اليوم دون اعتبار لحالتها الصحية أو رُقي السلوك؛ فبدت وكأنها فتاة أخرى غير تلك الفتاة التي ولدت في بيت مترف وعريق في بالريف. وباتت تغني وتحلق في كل مكان كما تفعل تلميذات المدارس وكأنها نسيت أن طفلا برحمها. ولم يكن "موطودا" قد رأى "يوشيكو" في مثل هذه الحالة من قبل.

وأصبحت تبدو مرتكزة وثابتة عندما تجلس؛ وبشكل مفاجئ اكتسب جسدها ملامح جسد امرأة متزوجة؛ فكسى اللحم المكتنز ذراعيها ومناطق أخرى من جسدها فغدت امرأة ملء العين. أما عن العاطفة؛ فقد بدأت طاقة نهم المشاعر الأنثوية يحتدم لظاها. وذهب عنها قلق الولادة؛ فغمرت كلاهما سعادة من نوع جديد. ولكن؛ ذات صباح استيقظ "موطودا" على صوت "يوشيكو" المتحشرج فإذا به يجدها فوق فراشها، وهي تدخن السجائر.

" ماذا تفعلين؟!! "

حاول "موطودا" أن ينتزعها منها .....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وما المشكلة إذا دخنت؟!."

ولم تستجب له "يوشيكو". فعنفها "موطودا" أن أي امرأة تلك التي تدخن السجائر في فراشها في وضح النهار؟!.

"أشعر بالنعاس لأنني أحمل طفلا في أحشائي. فأنا أنام بقدر شخصين".

قالت له "يوشيكو" وهي تدير له ظهرها وتنفخ دخان السجائر.

"أما السجائر تلك؛ فأنا أدخنها من فترة".

تململ "موطودا" لسلوك "يوشيكو" المتمرد وظل ينظر إليها.....

"يا لك من حمقاء !"

وضربها على كتفها ضربة مباغتة. ثم نهضت "يوشيكو" من فراشها فرتبته في نوتو؛ ونزعت الغطاء من فوق "موطودا" برعونة ثم شدت الفراش الذي ينام عليه من تحته وهي تتعزم بأقصى قوتها حتى انقلب فوق الحصير. أبهرت "موطودا" تلك القوة الخارقة لدى "يوشيكو" حتى كاد قلبه يتوقف فقال لها في هدوء المندهش "ستفقدين الجنين !"

"لا بأس؛ فعلى أية حال يولد الأطفال حتى من تحت القبور".

قالت "يوشيكو" ضاحكة من أنفها، وهي تقوم بأعمال تعودت أن تتركها للخادمة؛ لكنها في هذا الصباح تعمدت أن تمسك بفراش النوم وتلقي به في الخزانة وكأنها تزأر.

"رأيت حلمًا بغيضًا؛ حزينًا إلى أبعد الحدود وهذا ما دفعني أن أدخن. سمعت صوت بكاء طفل قد أتى من القبور؛ طفل قد ولد من بطن امرأة قد ماتت. كان القمر بضيء بطن خضراء كبطن الضفدع؛ كم كان مشهدًا بشعًا"

وكانت "يوشيكو" ترتعش. فظن "موطودا" أنها قد تكون علامات عودة غثيان الحمل. لكن طريقة حديث "يوشيكو" كان يشوبها التصنع حتى إنه وجد صعوبة في أن يصدق ما إن كانت حقًا قد رأت هذا الحلم أم لم تر شيئا. فربما تكون قد



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قرأت مثل هذه الأحداث في كتاب ما وأتت لتحدثه عنه كأنها رأته في منامها. فهي - في الأيام الأخيرة - قد فقدت تلك الرقة في صوتها التي طالما سعت به جادة لتنال حنو "موطودا"؛ وأصبح صوتًا لزجًا متمردًا لا يجد عناء في قول الكذب. وحتى في المطبخ؛ كانت تعمل وكأنها تنافس الخادمة. ففي ذلك اليوم أعدت طعام الإفطار ووضعت أمام "موطودا" بيضا نيئا و"نوري"[٣٣] و"تسوكوداني"[٣٤]؛ ولم تضع له حساء "ميسو". وعندما تعجل إحضار الحساء.....

" إن رائحة حساء الميسو تجعلني أشعر بالغثيان. إن أردت فاطلبها من الخادمة ولتأكلها بمكان لا أكون أنا موجودة به "

قالت ذلك حتى دون أن تنظر إلي وجه "موطودا". أما هي فقد أكلت بشراهة ما يقرب من أربعة أطباق من الأرز بحساء الشاي الأخضر والطحالب المملحة، وهي تصدر أصواتًا صاخبة. وكان منظرها مقززًا. وانتبه "موطودا" لعدم مراعاتها لتوازن التغذية في طعامها فنبهها بأن هذا سوف يضر بنمو الجنين.

" إذا ما أضر هذا بنموه فستكون الولادة يسيرة؛ أليس كذلك؟ "

فاستخفت بما يقول.

كان جورب "موطودا" به قطع. وكان كم قميصه الأبيض متسخًا.

" أنت لا تخلع الحذاء عندما تكون في الشركة. لا تكن مزعجا ودعك من تلك الأمور الصغيرة. وما لك تهتم بالأناقة إلى هذا الحد وأنت ابن صانع الحصير ! "

" ماذا تقولين؟! "

" أليست هذه الحقيقة؟؟ ألست ابن صانع حصير؟ "

---

(٣٣) أوراق مجففة من الأعشاب البحرية الصالحة للأكل تصنع بعد تقطيع الطحالب وتجفيفها بطريقة مشابهة لصناعة الورق.

(٣٤) خليط من الأسماك الصغيرة والأعشاب البحرية مغلية في صوص صويا محلى بالسكر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اخرج "موطودا" وصية "يوشيكو" من درج المكتب ليبحث عن مكان الجوارب والقمصان .....

" أتذكرين هذه ؟! "

ووضع الورقة في وجهها. "يوشيكو" الحنونة التي كانت في تلك الأيام؛ تُرى أين هي الآن؟ وبينما "موطودا" يستبدل جوربه؛ كانت "يوشيكو" تمزق الوصية لقطع صغيرة ثم ألقتها في الحديقة التي تتلألأ بها شمس الصباح في يوم من أيام منتصف فصل الصيف. وكان "الكيمونو" قد كشف عن نعومة واكتناز لحم رقبتها وكتفيها الجميلين وكأنها قد دهنتهما بزيوت عطرة. وظن "موطودا" لوهلة أن هذه ليست "يوشيكو" زوجته وإنما التي ينظر إليها هي واحدة من عاهرات المدينة فأغمض جفنيه.

وبعدها ظلت "يوشيكو" ليومين أو ثلاثة لا تخاطب "موطودا". ولأن الجنين في الرحم شيء مقدس فهذا يعني أن "يوشيكو" بالتبعية أصبحت نقية. و"موطودا" ذلك الشاب الصغير الذي تخرج في الجامعة منذ عام واحد فقط؛ قد اقتدى بـ "يوشيكو". وأصبح وجه يوشيكو قاسي الملامح فهي لم تعد تستخدم مستحضرات التجميل؛ وبدت عظام وجنتيها بارزة؛ وكانت نظراتها لـ "موطودا" حادة ومباشرة تبدو وكأنها نظرات رجولية. وأصبحت تحب الأعمال التي تتطلب جهدا وكأنما يدفعها إلى ذلك العنف المتولد في داخلها.

أكد "موطودا" على الخادمة ألا تتركها تعمل كثيرا. لكن بعدها بحوالي خمسة أيام أتت الخادمة إلى "موطودا" تبكي لأن "يوشيكو" قد استغنت عن خدماتها. كانت "يوشيكو" قد اصطحبت معها هذه الخادمة من قرية؛ وكانت فتاة وفية لسيدتها "يوشيكو". وأراد "موطودا" أن يدافع عن الخادمة فظهر الغضب على وجه "يوشيكو" .....

" تأتيك الخادمة باكية وتحدثك ! ما هذه الوضاعة؟! فيم تتحدثان وكأن بينكما أسرار ؟! "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انتبه "موطودا" لأول مرة لتلك الغيرة المرضية التى تعانى منها "يوشيكو". وأدرك أن انفعالها وهجومها الدائم كلما حدثها عن أصدقائه فى العمل كان بسبب تلك الغيرة. ورأى "موطودا" أن عليه توخى الحذر؛ لكن غيرة ليس لها أسامر لن تخلو من عواقب غير محمودة. "يوشيكو" تلك الفتاة الطائعة التي أحبها الجميع أصبحت في الآونة الأخيرة تناصب الآخرين العداء. فقد فقدت لين قلبها. كما فقدت رقي ونقاء فتاة العائلات العريقة. فلا شك أنها لم تكن تعيش في بيتها بالقرية مثل هذا السلوك الفظ.

"ساشيمي"[٣٥] أسماك التونة؛ وجبة يمكنها أن تتناولها بشكل متواصل كل يوم على مدار أسبوع كامل دون مراعاة لتوازن التغذية؛ فأخذت "يوشيكو" تسمن يومًا بعد يوم وتبدو عليها ملامح العافية؛ لكن هذه العافية كانت ظاهرية. تشكك "موطودا" أن تكون صورة جوفاء؛ قد تنهار متصدعة بين الحين والآخر.

تُرى هل حقًا من المستحيل لجسد "يوشيكو" أن يتحمل إنجاب طفل؟ كانت "يوشيكو" تبدو وكأن روحًا قد تلبستها وهي تحيا بدفع تلك الروح لها. وقد يذهب إلى أبعد من ذلك؛ فيرى أن "يوشيكو" التي عرفها قد بادت وما يسكن في جسدها الآن هو نفسٌ غيرها تستخدم جسد "يوشيكو" كأداة لتحيا بها. وإن كان "موطودا" يدرك أن مثل تلك الأفكار الطفولية لا تعدو كونها خيالات؛ إلا أنه وجد الأمر مفزعًا إذا ما نظر لها من منطلق التأهيل النفسي للجنين قبل الولادة؛ فإذا كانت التغيرات التي طرأت على "يوشيكو" توحي ولو بقدر محدود عن طبيعة الجنين؛ فما عساه سيكون هذا الطفل؟ في جميع الأحوال؛ فقد تمزق تمامًا وثام وبهجة الأسرة. فقد أصبحت "يوشيكو" تعارض "موطودا" في كل أمر وكأنها تناطحه؛ تغلغل اليأس في نفس "موطودا" جراء ذلك التناحر اليومي القميء.

كان هذا أول عهد "يوشيكو" بصيف المدينة اللافح؛ فلما خشي "موطودا" أن يرهقها هذا مع الحمل ونصحها بأن تقضي أيام الصيف بالقرية؛ فهمت نصيحته

---

(٣٥) "ساشيمي" من أشهر الأطعمة اليابانية وهو من السمك النيئ مقطع على شكل شرائح رقيقة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أنها رغبة منه في التخلص منها فرمته بآنية من الفخار. وبينما كانت تجلس داخل الناموسية؛ قالت "يوشيكو" إن الجنين يتحرك، وكانت تبتسم - على غير المعتاد - وكأنها زهرة رقيقة تتفتح؛ ثم أغمضت جفنيها بهدوء.

" حقًا؟ حسنًا حسنًا "

قال "موطودا" وهو يضحك ....

" توقف عن ذلك ".

وإذا بها تصيح به بصوت عال وتدفع يده عنها.

" الأمر لا يهمك على أية حال؛ هذا الطفل لا يعني لك شيئًا. أعلم ذلك تمامًا. عندما توسلت إليك في المشفى أن تتركني ألده ولو كلفني ذلك حياتي؛ وبكيت وأنا أستجديك في ذلك؛ ألم تقل للطبيب إنك لا تحتاج هذا الطفل عند عودتنا ذلك اليوم؟! لم يشعرني أمر في حياتي بالغيظ أكثر من ذلك. كنت قد قررت أن أموت أنا والطفل معًا؛ لكنني سأبقى حتى يكبر هذا الطفل وأخبره بهذا الأمر. نعم؛ لقد أخبرني الطبيب بكل شيء أن لا أكذب ".

كان الطبيب بعد أن شُفيت من غثيان الحمل واستقرت حالتها ربما أراد يدخل المرح في حديثه، وهو يخبرها بأن حالتها كانت خطيرة، وأن "موطودا" كان يشعر بالقلق عليها لدرجة أن قال له هذا الأمر. وها هي "يوشيكو" تتوعد "موطودا" بأن تخبر الطفل حين يكبر؛ وحتى هذا الرجل "موطودا" لم يستطع صبرًا مع هذا السم وسوء النية المفرط من "يوشيكو".

Telegram:@mbooks90

" لم يكن يستهويك منذ البداية أن تتزوج بعروس في مثل هذا الجسد؛ وحتى في هذا كنت أنت المخطئ. كنت طفلة لا أفقه شيئا وجئتك واثقة بك لأستشيرك؛ ألست أنت الذى صعب علي العودة إلى بيتى؟! وهذا أكثر شيء أغضب أبي. قال أبى إنها فتاة صغيرة السن؛ فليعيدها بيتها عفيفة كما خرجت منه ثم يأتي ليطلبها؛ هكذا يكون تصرف الرجال ... لو لم تفعل بي ما فعلت لم أكن لأعصيك.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنا لم آت طوكيو حتى أتزوج كفتاة ماجنة. كنت أحلم بزواج أستمتع بذكراه. لقد كرهت حتى تذكر زواجي".

لم ينطق "موطودا" بكلمة. لكنه شعر باليأس وخيبة الأمل؛ فلم يكن على "يوشيكو" أن تتطرق للحديث عن زواجها بهذه الطريقة. فالحديث عنه بهذا الشكل لا يعني سوى النهاية.

إن للمرأة قلبا يقدس طهارة جسدها؛ وكان في أعماق "يوشيكو" ضغينة قابعة لمن دنس تلك الطهارة؛ وربما تكون قد أفرغتها الآن؛ لكن أن يكون حنق "يوشيكو" لبدايتها أمرًا لا نهاية له كان بالنسبة إلى "موطودا" هجمة مباغتة.

كره موطودا أن يتحدث في أي شيء. وعندما رأى "يوشيكو" ترقد على بطنها، وهي تبكي شعر لأول مرة بأنه يكره جسدها؛ فقد بدت له في أبشع هيئة لامرأة فقدت حياءها. إن "موطودا" - إلى الآن - يتوق إلى "يوشيكو" التي جاءت هاربة إلى بيته؛ فهي وإن كانت مثيرة للشفقة؛ فأبدًا لم تكن ذكرى بغيضة. حتى إن "موطودا" بدأ يتشكك في أن يكون تمرد "يوشيكو" يحمل حقًا في طياته بغضًا.

ويبدو أن "يوشيكو" انزعجت من الاضطرابات النفسية التي لازمتها فاستشارت "موطودا". ثم أخذت تقرأ في الكتب الدينية؛ وبدأت تقوم بتنسيق الزهور في الركن الخاص بها في غرفة الضيوف؛ وأحيانًا ما كانت تمارس طقوس الشاي اليابانى.

وما إن بدا الأمر مستقرًا؛ حتى كانت "يوشيكو" تقوم بالبحث في سلة المهملات بجوار مكتب "موطودا" وتتفحص الأوراق الملقاة في القمامة. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل تطور إلى أن تتفحص سلة مهملات الخادمة وتأخذ منها الأوراق وتقرأها وهي مضطربة؛ حتى إنها لم تنتبه عندما سقطت أمطار شديدة يصحبها صوت الرعد وبللت الأوراق المشدودة على الباب الجرار في حجرة الخادمة المواجهة للجانب الشمالي. وسرعان ما تركت الخادمة العمل من نفسها. وعلى الرغم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أن الخادمة كانت قد رحلت وهي تبكي لفراق "يوشيكو"؛ فإن "يوشيكو" بعد ذلك أخذت تعدد عيوبها. واندهش "موطودا" من أن "يوشيكو" تنظر لمن حولها بهذا القدر من سوء النية.

وعندما رأى "موطودا" خطابًا كانت "يوشيكو" سوف ترسله إلى عائلتها في القرية؛ لم يجد تفسيرًا له سوى أن تكون "يوشيكو" قد فقدت عقلها. كانت "يوشيكو" تكتب الخطاب على مكتب "موطودا" فلاحظ وجود رسالة في نوتة أوراق الرسائل وتعجب أن تترك تلك الرسالة التي لم تكملها هكذا. وكان مضمون الخطاب أنه رغم حملها فإنها تتعرض للعنف من "موطودا" وأنها لا تستطيع أن تبقى معه لذلك ترغب فى الانفصال. ورغم أن "موطودا" لم يضربها سوى ذلك الصباح عندما كانت تدخن السجائر كتبت في خطابها أنه يضربها ويركلها ليل نهار. لم يستطع "موطودا" أن يفهم ما إن كانت تحاول أن تبالغ في الأمر لكي تؤثر على والديها أم إنها بالفعل مصابة بـ"هوس الاضطهاد"؛ لكنه لم يجد بدًا من أن يتركها تحت رعاية أسرتها في القرية لفترة. فقد كتبت "يوشيكو" لهم أنها لا تستطيع أن تلد طفلها هنا. وبالفعل جاءت هذه المرة أيضا أختها الكبرى لتعود بها إلى القرية.

كانت الخادمة التي سبقتها عائدة إلى القرية قد نقلت لهم صورة عنها؛ فلم توجه أختها لومًا كثيرًا إلى "موطودا" لكنها قالت:

" بعض النساء أثناء الحمل يحتجن إلى قدر كبير من المواساة. لابد أن هناك أمرًا حدث في البداية؟ خاصة وأنك شاب صغير ويوشيكو طفلة... "

قالت له وهى تضحك.

نسيت "يوشيكو" ما كتبته عن رغبتها فى الانفصال؛ وظلت تؤكد عليه أن يحضر عند ولادة الطفل وتعيد طلبها مرارًا وهي تبكي. ثم وقفت أمامه لتعرف رأيه في ملابسها ومستحضرات التجميل؛ وأمسكت بيده ولم تتركها. حتى بدا "موطودا" أنه كان هو المخطئ. كان شعرها قد أصبح طويلًا للغاية لكن الشعر أعلى جبهتها لم يعد كثيفًا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" يا للعجب. ها أنت سمنت وأصبحت مكتنزة "

قالت أخت "يوشيكو" الكبرى.

أخفت "يوشيكو" على "موطودا" أنها قد تركت له وصية أخرى داخل درج المكتب قبل أن تذهب. تحير "موطود" في فهم تلك العواطف المبهمة لدى المرأة، فقد دونت له بالتفصيل أماكن ملابسه من الكيمونو وحتى ما يرتديه أسفله. تُرى هل تنوي أن تعود إلى المنزل. أرسل "موطودا" لها العديد من الخطابات لكنها لم ترد على واحدة منها. وقد علم من الخادمة السابقة أن أم "يوشيكو" تحتفظ بجميع الخطابات ولا تطلع "يوشيكو" عليها.

أَنَتَ "موطودا" نفسه أن لو نجحت في التفريق بينهما سوف تكون حياة زوجية قصيرة للغاية وكأنها كابوس؛ ولم يدر فيما يفرغ ذلك الغضب. وكان يستيقظ فجأة في منتصف الليل غارقًا في عاطفة مؤلمة وهاجس بأن تكون قد ماتت في هذه اللحظة.

_____ / يوشيكو _ وضعت بسلام _ احضر _ ننتظرك /

استلم "موطودا" هذه البرقية فى يوم توغل فيه الخريف.

دخل "موطودا" غرفة الولادة فتبسمت له "يوشيكو" وظلت تنظر إليه دون أن يطرف لها جفن. ثم أزاحت شعرها المتناثر خلف أذنيها، وبحركة متلهفة ألقمت الرضيع ثديها وكأنها انتبهت للأمر فجأة.

" يبدو أن صدرك به لبن وفير "

" لا ليس به الكثير؛ بل ينصحوني بشراء لبن صناعي".

قالت "يوشيكو" فى هدوء. وقد ارتسم على وجهها اطمئنان واستبشار، وكأن شئيا لم يكن. وكان وجهها مضيئًا وكأنها غسلته لتوها.

ودخلت أم "يوشيكو" وهي تقول:

" هل هناك أم ضئيلة الحجم ورقيقة هكذا؛ هذا أمر عجيب؟! "



Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقًا قد بدا حجم "يوشيكو" ضئيلًا وعادت لها سمات الفتاة الرقيقة.

على الجانب الآخر من حقول أزهار الأقحوان كان ضوء القمر يسطع على ثمار الكاكا.

" ما أجملها! "

" نعم إن ثمار الكاكا مزدهرة هذا العام "

كان "موطودا" وأم "يوشيكو" يتأملان ثمار الكاكا.

كان "موطودا" متوجسًا؛ أن لا يكون الأمر انتهى عند هذا الحد؛ فكان كل شيء قد حدث بشكل مفاجئ وكان من الصعب أن يصدق ما يرى.

ذلك المخلوق الجديد الذي غير "يوشيكو" لأكثر من شخصية وكأنه ساحر يتحكم بمقاديرها - في شكله الذي يشبه قردًا بريئًا - قادها مرة إلى حافة الموت واقترب بها أخرى إلى مشارف الجنون ها هو الآن يلتقم ثدي أمه بقوة عارمة.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ٨ "

# شخص يرحـــل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دوي صوت ارتجت له الأرض، واهتز له البيت، ورنين تذبذب زجاج النوافذ.

" هذه هي ! "

رفع "ساكيئو" صوته مهللا واندفع إلى شرفة البيت. بالحديقة - وكانت عبارة عن أيكة من الأشجار الملتفة - كان طائر "الدُرّاج" يصيح في صخب مُدَوٍّ.

كان انفجارًا كبيرًا للغاية بجبل "أساما"[٣٦]؛ والانفجار الأول في هذا الصيف. من وسط الأدخنة المتصاعدة من فوهة البركان؛ يتطاير ما يشبه الألعاب النارية ولونه بلون النيران. لا يميز من يراها إن كانت صاعقة أم هي حمم بركانية. لكن والدي "ساكيئو" ظلا جالسين كما هما إلى مقعدين داخل الغرفة يشاهدان الانفجار البركاني.

في مدينة "كاروي زاوا" كان من أهم الشروط التي تحدد قيمة العقار هي ما إن كان يرى جبل "أساما" أم لا يراه. فعندما يأتي أحد ليستأجر مسكنًا لقضاء عطلة؛ جرت العادة أن يسأل عن إمكانية رؤية "أساما" من العقار حتى أصبح هذا السؤال وكأنه جزء من التحية في بادئ الكلام. ومن قديم الزمن وهذا الجبل ذائع الصيت، لم يكن فقط يظهر ويتوارى بفعل السحب والضباب، بل كان أيضًا أجردَ بسبب الثوران البركاني؛ فكانت ملامحه تتغير دون توقف مع تغير الفصول وبمرور الأيام.

بيت " ساكيئو" الصيفي يقع على هضبة مواجهة للجنوب؛ ولأن الجانب الغربي الذي يطل عليها البيت من جبل "أساما" كان ذا انحدار فقد أزيلت أشجار الحديقة من الجانب الغربي للبيت فقط؛ وظلت شجرة عملاقة واحدة من أشجار "الدردار" من أجل أن تواري عن البيت آشعة شمس الظهيرة.

---

(٣٦) مجموعة بركانية نشطة تقع في وسط جزيرة "هونشو" يبلغ ارتفاع الجبل ٢٥٦٨ مترًا فوق سطح البحر، ويقع على الحدود بين محافظتي "غونما" و"ناغانو".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك الشجرة التي كانت تقف وحدها لم يكن يعوق نموها شيء فكانت فروعها تنمو وتمتد دون رادع وتميل أطراف فروعها قليلا منبسطة ناحية الغرب فتبدو لمن يراها وكأنها تفوق البيت حجمًا. وكانت أوراقها الصغيرة تهتز لنسيم يكاد لا يشعر به الإنسان. كان "ساكيئو" في طفولته في كل صيف يشعر بحنين إلى شجرة "الدردار" العملاقة تلك التي كان يراها كمظلة للسعادة وكأنها من القصص الخيالية. ومن ذكريات طفولته؛ أن كان هناك كرسي من خوص تحبه أمه وكان دائمًا بجوار جذع تلك الشجرة كانت أمه تجلس؟ إليه وهي تحتضنه وتتأمل ما ظهر من السماء من خلف أوراق الشجرة.

منذ أن كان "ساكيئو" صغيرًا، كان يندفع إلى الشرفة مع كل انفجار لجبل "أساما" فيضحك منه والداه. وحتى إنه لم يكن يدري ما الذي يدفعه ليفعل ذلك. كانت شرفة بيت "ساكيئو" كذلك تلتف من الجنوب إلى الغرب حتى تطل على "أساما". وشجرة "الدردار" كانت ناحية الغرب بميل إلى الجنوب؛ وعلى يمينها يظهر "أساما" ناحية الغرب بميل إلى الشمال. وعندما يندفع "ساكيئو" إلى الشرفة يجد الليل المقمر. وبينما يسطع ضوء القمر إلى أبعد الحدود؛ كانت أدخنة البركان قد بدت شامخة في سكينة تحت سماء سميكة وكأنها ترفع صخرة حالكة السواد عاليًا؛ وكأنها ذراع امتدت من باطن الأرض لتلكمها بكل قوته.

فبعد وقوع الانفجار مباشرة لم تكن تبدو كأدخنة متصاعدة؛ وكانت تبدو وكأنها قوة مروعة قد تكثف جسدها. ثم تمتد لترتفع آلاف الأمتار فتحتوي السماء وتمطر رمادًا لأميال مترامية؛ وبقوة عارمة كأنها انطلقت لتوها من فوهة مدفع الأرض. وربما لا يوجد على سطح الأرض فرصة أخرى لرؤية مثل تلك القوة العارمة في صورة مجسدة بقدر هذا المشهد. فهي كذلك تختلف عن الأعاصير وعن "تسونامي" في إمكانية التأمل الهادئ لتجسد القوة. كما يتنافس المصورون الذين يحاولون نقل مشهد الثوران البركاني لجبل "أساما" في تسجيل لحظات الانفجار واللحظات التي تلي الانفجار مباشرة كان " ساكيئو" يفعل كذلك أيضًا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم يكن يقنع برؤية مشهد الثوران البركاني بعد أن تكون الأدخنة قد تصاعدت أو بعد أن تكون قد اتسعت آفاقها وامتدت؛ ففي تلك اللحظات تكون قد زالت حدة التوتر وافتقر المشهد لسحره. وعندها أيضًا تكون الصاعقة التي تشبه الألعاب النارية وسط الأدخنة الصاعدة قد اختفت. فعندما يرى لحظة الانفجار يزول عنه الإحساس بالفزع والرهبة؛ وعلى العكس تمامًا تغمره مشاعر البهجة والسرور؛ أما تلك اللحظات التي تكون فيها الأدخنة قد ارتفعت وعلت لتغلف السماء فلا يجد بها سوى مشاعر من الخوف والهلع. وكأن ذلك الإنسان الذي شعر بقوة تسري في جسده في ردة فعل لرؤية مشهد مفاجئ يصور قوة الطبيعة العارمة يعود لتخور قواه مرة أخرى. ولأنه اندفع إلى الشرفة مع سماع صوت الدوي الهائل؛ "ساكيئو" يستطيع أن ينعم بمشاهدة مثالية لثوران البركان في هذه الليلة.

وتحت سماء مقمرة تعلو الهضبة؛ تزايد الإحساس لديه بثقل الأدخنة البركانية التي بدت وكأنها كتلة من الصخور. كان الليل لم يزل في أوله فلا شك أن هناك الكثيرين من الناس ينظرون إلى هذا المشهد؛ لكن "ساكيئو" استحوذ عليه شعور طاغ بالوحشة وكأنه ليس على وجه الأرض غيره ينظر إلى هذا الثوران البركاني. وكأن أرواحا سكنت الأرض نهضت غاضبة في عالم موحش قد خلا من البشر. وفجأة خيم الهدوء وكأنه واد من جليد.

احتضن "ساكيئو" عمود الشرفة الخشبي المستدير بذراعه؛ وظل يتأمل دون أن يطرف جفنه. أدخنة الانفجار البركاني تلتف ببعضها البعض وتتعانق وهي تمتد إلى السماء. كانت ألسنة الدخان تلتوي وتلتحم ببعضها متصاعدة في سرعة تصل إلى عشرة أمتار في الثانية الواحدة. وفي دقيقة واحدة ترتفع إلى ألف متر. لحسن الأقدار لم تكن هناك رياح فكانت الأدخنة ترتفع في شكل أعمدة مستقيمة من السحب ثم تنبسط مقدمتها في أعلى وكأنها قطع من عيش الغراب أو مظلة تنفتح ممتدة في عنق السماء. وحجبت السماء التي تعلو "ساكيئو". كان القمر شرقًا من السماء بالجانب المقابل لتصاعد الأدخنة من الغرب. فتلتقي في عنان السماء أطراف الأدخنة المتصاعدة بخيوط ضوء القمر في موضع شائب يشبه حزامًا ضبابيًا خافت الضوء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأدخنة السميكة تنهار؛ أحس "ساكيئو" كأنها مشاعر من الهلع تتساقط من وسط ضوء ضبابي خافت. في تلك اللحظة لمست "هيروكو" كتف "ساكيئو" برفق. وظن "ساكيئو" لوهلة أن رائحة المرأة التي شعر بها مع قدوم "هيروكو" هي رائحة ثوران البركان. إلى هذا الحد كان " ساكيئو" مستغرقًا من أعماق قلبه وهو يتأمل ثوران البركان. وكأن رائحة "هيروكو" تغلغلت إليه حتى أعماق أحشائه وبُغِتَ "ساكيئو" فارتعش كتفه.

" يا له من مفزع ! "

قالت له "هيروكو" وهي تقترب منه قليلا.

" لا يوجد فزع ولا شيء ".

أدرك "ساكيئو" أن صوته يرتجف فطأطأ رأسه. وأيكة الأشجار الملتفة، حيث يصيح طائر "الدُرّاج" في صخب مدوٍ؛ تسرب بعض من ضوء القمر إليها من بين أوراق الشجر العريضة المتداخلة؛ لكنها ما زالت مظلمة. رفع "ساكيئو" نظره إلى السماء مرة أخرى.

" يا له من مفزع ! "

همست له "هيروكو" مرة أخرى.

ضباب من الدخان الأسود حجب ضوء القمر وكأنه ستار شؤم بدأ يُسدل.

" لا أراه مفزعًا ".

أجابها "ساكيئو" في جفاء.

" أهكذا ترى؟ هل كما سمعت أنك تحب مشاهدة ثوران البركان؟ "

" هذا لا يعني أنني أحبه ".

" حقًا ! لكن أمك قالت ذلك الآن. هاهو قد اندفع مرة أخرى ! يا له من ولد غريب ! قالت هكذا وهي تضحك ".

قالت له "هيروكو" وكأنها تحدث طفلا. لكنه كان صوتًا تُحدث به شخصًا تحبه. جذب البركان انتباه "هيروكو" وشعرت بخوف لم تنتبه إليه بنفسها لكنه أضفى



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها رونق من الفتنة. كان "ساكيئو" صامتًا. تغلغلت عذوبة صوت "هيروكو" الأنثوي النضر إلى أعماق "ساكيئو". وشعر بحزن لم يكن له بمبالٍ. بدا وكأن ذكريات من أيام طفولته أخذت تراوده.

"هيروكو" وكأنها ترسم إشارة بإصبعها على كتف "ساكيئو:

" دعنا ندخل البيت ".

" حسنًا "

"ساكيئو" لم يتحرك.

" إلى متى ستظل تنظر هكذا؟ يالك من شديد الفضول! "

لكن "هيروكو" بقيت هي الأخرى ساكنة ....

" إن والدتك حالتها سيئة للغاية "

قالت وهي تضحك ضحكة خافتة.

" ظلت تنظر إلي مليًا وإذا بها تحدثني عن انبهارها بشدة سمرة بشرتي من تعرضي للشمس. وتقول إن أمي لو أتت فلاشك أنها لن تسمح لي بممارسة رياضة التنس أو غيرها هذا العام. وهي تقصد أمي بالطبع. وما كان بي إلا أن نهضت وتركتها لآتي إلى هنا. وإن كان قد بدا عليها الانزعاج بعدها؛ وكأنها انتبهت لقولها شيئا ما كان لها أن تقوله... وأنا أشعر بتأنيب الضمير لأنني تركتها وأتيت. وأخجل من نفسي لأعود؛ لذا أرجوك أن تدخل معي".

" متى توفيت والدتك؟ "

" أمي؟ "

ثم قالت "هيروكو" وكأنها تجيب بإصبعها الذي وضعته على كتف "ساكيئو"..



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" عندما كنت في السابعة. في العام الذي التحقت فيه بالمدرسة الابتدائية. لأنني من مواليد الربع الأول من العام[٣٧]."

استشعر "ساكيئو" حتى بليونة إصبع "هيروكو"؛ فكان ذلك الموضع تحديدًا ساخنًا. ولأنه لم يكن يرتدي سوى قميص فوق ملابسه الداخلية الصيفية؛ فما إن انتبه لأن إصبع "هيروكو" يلمس عظام كتفه حتى بدأت وجنتاه تلتهبان.

" هل حكايتي غريبة على والدك ووالدتك إلى هذا الحد؟ "

قالت "هيروكو" وكأنها تحدث نفسها. ولم يجبها "ساكيئو". فلم يجد ما يجيب به؛ وكان عليه إذا أراد أن يجب أن يكبح حياء مرحلة الفتوة الذي يمنعه من ذلك.

" لابد أنها كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لهما إلى حد بعيد. قد أكون أخطأت أن جئت لأحدثهما. "

ظل "ساكيئو" على حاله صامتًا. وما أن راودته مشاعر كادت أن تكون سخط من "هيروكو"؛ حتى سمعا صوت نقر يضرب سطح البيت. بدا وكأنه وابل كبير القطرات؛ لكن ذلك الصوت كان أجوفَ وأكثر وحشة من صوت الوابل.

" ما هذا ؟! ما هذا؟! "

ارتعدت "هيروكو" واحتضنت كتف "ساكيئو"

" يا له من صوت بغيض. يبدو الأمر مروعًا ".

ازداد الصوت بشكل مفاجئ. وتساقطت أحجار صغيرة من فوق سطح البيت وضربت الأحجار أوراق الشجر في الحديقة.

" يبدو الأمر خطيرا يا "ساكيئو"! "

قالت "هيروكو" وهي تحاول أن تجذبه إلى الخلف؛ لكنه لم يستجب لها.

---

(٣٧) المواليد من ١ يناير وحتى ١ إبريل يلتحقون بالمدرسة في سن السابعة؛ والمواليد من ٢ إبريل وحتى ٣١ ديسمبر يلتحقون في سن الثامنة. ويحسب السن بالسنوات المعدودة، حيث تكون سنة الميلاد هي الأولى وبعد مرور سنة ميلادية يكون العمر عامين وهكذا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" لا؛ هذا لا يدعو للقلق. إنها رمال بركانية ولكنها كبيرة بعض الشيء ".

" رمال؟ ليست رمال؛ إنها حجارة ".

" ليس صحيحًا. حتى وإن كانت في هذا الحجم لكنها من الرمال البركانية. فما دون الثلاثة ملليمترات هو من الرمال البركانية ".

" حسنًا ! "

قالت "هيروكو" في يأس.

خيمت حالة من التوتر والقلق على سطح البيت وعلى الغابة كذلك. وكان صوت التساقط غير منتظم فزادها تطيرًا به. وتوترت "هيروكو" فتخشب جسدها.

" يا "ساكيتو" يا "ساكيتو". "

صوت أمه تناديه.

" سيد "ساكيتو" ! "

قالت "هيروكو" بصوت مرتعش؛ ووضعت يدها الأخرى على كتف "ساكيتو" وكأنها ستسقطه على ظهره.

" الأمر خطير؛ صدقني ".

" دعيني. "

ودفعها "ساكيتو" بحدة.

" حسنًا ! "

قالت "هيروكو" وهي تترنح:

" يا لك من شخص غريب ! "

وبعدت قليلًا فنظرت إلى وجه "ساكيتو"

" سيد "ساكيتو" ! هل تبكي؟ ما بك؟ "

وما هي إلا لحظات من سؤالها حتى فقد "ساكيتو" سيطرته على دمعة احتبسها فسالت على وجنته.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عادت "هيروكو" ووضعت يدها مرة أخرى على كتف "ساكيئو".

" ماذا بك؟ سامحني؛ أعتذر عن خطئي ".

" ليس الأمر هكذا. "

" ما الذي يحزنك إذًا؟ "

" لست حزينًا. "

" ما بك إذًا؟ "

لم يكن "ساكيئو" يدرك ما به. لم يدرك حتى أنه قد كاد يبكي. فبمجرد أن سمع صوت تساقط الحصى على سطح البيت؛ وكأنه قد فقد شيئا ما كان يركن. وكان احتباس دمع في عيني "ساكيئو" أمرًا لم يكن يخطر ببال "هيروكو"؛ وإن كان ذلك الدمع قد لا يعني سوى نقاء النفس في أيام الفتوة.

Telegram:@mbooks90

لكن قد تشعر منه كذلك وكأنه تصوير لأنانية بغيضة لفتى في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر.

وكأنه حمل قد أثقل كاهلها بعض الشيء؛ اقتربت "هيروكو" لتقف ملاصقة لـ "ساكيئو".

" ها هو الرماد قد بدأ يتساقط".

قال "ساكيئو". كان ذلك الصوت الهادئ لوقع تساقطه على أوراق الشجر قد بدأ يتردد. أما صوت تساقط الحصى فقد بات يتردد على فترات متباعدة.

" صحيح؛ لقد بدأ الرماد يتساقط. لقد مرت بسلام ".

" نعم ".

" وأنت يا سيد "ساكيئو"؛ هل أصبحت بخير الآن؟ "

ودون أن يجيب عن هذا.....

" لابد أنه يتساقط حتى مدى بعيد".

قال "ساكيئو" وهو ينظر إلى السماء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان ذلك الضباب الثقيل رمادي اللون قد بسط ظلمة كثيبة في هذه الليلة القمرية؛ لكن كليهما قد ظلا يصغيان السمع إلى صوت تساقط الرماد في الغابة.

" ليته يكون خفيفًا "

قالت "هيروكو" بصوت هامس؛ ثم قالت وهي تمعن النظر إلى وجه "ساكيتو" ...

" إذًا؛ فلأعود الآن. أنت لن تبكي ثانية؛ أليس كذلك؟ "

ظل "ساكيتو" صامتًا.

ألقت "هيروكو" التحية على والدي "ساكيتو" من الخارج من خلال النافذة.

فخرجت الأم إلى الشرفة؛ ولما حاولت أن تقنعها بأن تبقى حتى يتوقف تساقط الرماد.....

" يا أمي ! المظلة".

قال لها "ساكيتو"

" الحق معك ".

ونادت الأم الخادمة لتحضر المظلة.

" يا أمي ! ثانية واحدة ".

" نعم. فلتذهب أنت يا "ساكيتو" لتوصلها".

" لا. لا داعي لذلك. سوف أكون بخير يا خالة ".

قالت "هيروكو"، وهي تخرج إلى الحديقة ومشت تنحدر من الربوة إلى أسفل. وتبعها "ساكيتو".

ولما سمعت "هيروكو" وقع أقدامه انتظرته تحت شجرة كبيرة من أشجار الجوز.

" أشكرك. فلتصحبني إلى المدينة فقط ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت "هيروكو" ثم مدت المظلة لتظلل "ساكيئو"...

" لا أحتاج إلى المظلة ".

" سوف أحملها أنا "

" لا داعي ".

" لا سوف أحملها أنا".

" كما ترى".

وأعطت "هيروكو" المظلة إلى "ساكيئو".

" صيف العام الماضي؛ عندما وقع ذلك الانفجار الكبير؛ وضعت هذه المظلة مقلوبة في الحديقة ".

" حتى تجمع الرماد؟ "

" نعم. وقد تجمع بها ما يقرب من ثلث الوعاء من الرماد ".

وبينما كانا يتحدثان أثناء سيرهما وضعت "هيروكو" يدها تحتضن كتف "ساكيئو" برفق. كان يستمتع بسيرهما تحت مظلة واحدة؛ لكن "ساكيئو" عاد ليلزم الصمت مرة أخرى.

فقالت "هيروكو" برفق

" ما بك؟ هل عاد إليك الحزن ثانيةً؟ "

عندما خرج من طريق الغابة الضيق وعبرا الجسر كان القمر مطلًا بضوئه الخافت.

" لماذا سوف تتزوجين يا سيدة "هيروكو"؟ "

سألها "ساكيئو" بكلمات سريعة.

تفاجأت "هيروكو" لكنها قالت وهي تضحك في بهجة:

" ويحي! وهل هو أمر عجيب أن أتزوج؟ "



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" قصدت أن تتزوجي من رجل لا تعرفينه جيدًا".

قال "ساكيتو" وكأنه يتفُل الكلمات من فمه؛ ثم أضاف بصوت مرتجف....

" رغم أن هناك الكثيرين ممن يحبونك ..... وأنا أعلم هذا ".

" لماذا أتزوج من رجل لا أعرفه جيدًا؟ "

رددت "هيروكو" الكلمات وكأنها تتغنى بها....

" هكذا تسير الأمور ".

" أرى هذا عجيبًا ولا أستطيع أن أتفهمه ".

قال "ساكيتو" بغضب وهو يقلص كتفه لتسقط عنه يد "هيروكو".

رأى "ساكيتو" يجب ألا يسمح لامرأة - سوف تتزوج - أن تحتضن كتفه غير مكترثة.

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ٩ "

# نهاية عام



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١)

"رفقاء قضوا النحب زوجاتهم توارين في نهاية عام"

تمتم "كاشيما سينتا" بكلمات أقرب لأن تكون من أشعار "الهايكو"[٣٨]. لم يكن في نيته أن يكتب شعرًا ليس له مثيل. فقط كانت كلمات عبر بها عما كان يدور في خلده في تلك اللحظة.

لم يكن "سينتا" ممن يقرءون ما كتبه الآخرون من أشعار. وبالأحرى لم يكن ممن يكتبون الشعر. ولذلك فهو لم يكن حتى ليستطيع أن يميز ما إذا كان ما كتبه يُعد شعرًا أم لا يرقى لأن يكون كذلك. حتى إنه كان في حيرة؛ هل "توارين" مناسبة أم تُرى "اختفين" تكون أفضل؛ أو "ضعن" قد تكون أفضل. لكن "توارين" كانت أول ما تبادر إلى ذهنه؛ كما رأى أنها أكثر معاصرة من لفظة "في قبر" وكذلك "إلى لحد"؛ وهي أيضًا أقل تكلفًا.

Telegram:@mbooks90

كتب "سينتا" هذا "الهايكو" في لوحة ورقية[٣٩]؛ ودون بجوار "توارين"؛ "اختفين" و "ضعن"؛ أي وضع التعبيرات الثلاثة بجوار بعضها بعضا؟

" ما رأيك؛ أيهم أفضل؟ "

قال وهو يعرضها على ابنته "ياسكو".

أخذت "ياسكو" اللوحة الورقية في يدها ونظرت إلى أبيها؛ ثم عادت تنظر إلى اللوحة الورقية وهي تقرأ:

---

(٣٨) نوع من الأشعار اليابانية التقليدية؛ يتكون العمل من سبعة عشر مقطعًا صوتيًا يعبر فيها الشاعر بألفاظ بسيطة معدودة عن مشاعر عميقة. وتنقسم المقاطع الصوتية إلى ثلاث وحدات بحيث تكون مفرداتها مكونة من خمسة – سبعة – خمسة مقاطع.

(٣٩) لوحة من الورق المقوى على شكل أقرب لأن يكون مستطيلاً يكتب عليها أعمال أدبية قصيرة وتستخدم حاليًا بكثرة في تلقي توقيعات المشاهير.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" رفقاء قضوا النحب زوجاتهم توارين في نهاية عام "

تقرأ بصوت خفيض.

"اختفين .....؛ ضعن ..... "

" هلا تقرئينها لي مرة أخرى؟ "

" مرة أخرى .....؟ رفقاء قضوا النحب زوجاتهم توارين في نهاية عام / رفقاء قضوا النحب زوجاتهم اختفين في نهاية عام / رفقاء قضوا النحب زوجاتهم ضعن في نهاية عام "

أطبق "سينتا" جفنيه وهو يستمع إليها.

وظل صامتًا لبعض الوقت.

" أيهم تجدها أفضل؟ "

سألته "ياسكو" هذه المرة وكأنها تشحذ همته.

" أيهم؟ "

لكن "سينتا" لم يعد التفضيل بين التعبيرات الثلاثة أمرًا يشغله الآن. ومن بادئ الأمر لم تكن كتابة "الهايكو" أمرًا يشغله بالأساس. في واقع الأمر كان كل ما يهمه أن يسمع صوت ابنته.

منذ أسبوع تقريبًا عندما عادت "ياسكو" من بيت زوجها؛ وسمع "سينتا" صوت ابنته الذي أثار في نفسه شيئا وكأنه كلمة " آه ". مشاعر يصعب تفسيرها ببساطة.

ذلك الصوت الذي اعتاد أن يسمعه ليل نهار قبل ثمانية أو تسعة أشهر؛ ذلك الصوت الذي طالما ملأ بيت "سينتا" _____ صوت ابنته الذي سمعه بعد طول فراق؛ جعل "سينتا" يشعر وكأنه استيقظ من سبات. كانت أحاسيس تخصه أكثر من كونها مشاعر من حنين للقاء - من قاسمها الدماء - بعد فراق.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيء لطالما كان مدفونا في أعماقه وهو الآن - وبعد طول زمان- تتفتح أزهاره. كانت دهشة مبهجة.

لكن تلك الدهشة لم تكن في الواقع أمرًا يدعو للبهجة. فكانت "ياسكو" قد جاءت هاربة إلى مسقط رأسها وهي تنوي الانفصال عن زوجها. وبالطبع كان كفيلا أن يضع "سينتا" كأب في حيرة. ورغم ذلك؛ فشعوره بـ "آه" لسماع صوت ابنته كان أمرًا فسيولوجيًا.

كانت "ياسكو" قد نحفت وجنتاها؛ وبياض عينيها قد صبغه الشحوب وجفنها السفلي يرجف دون توقف. لم تكن ابتسامة وجهها قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليه قبل زواجها؛ لكن تلك الأسنان البيضاء التي تكشف عنها ابتسامة متكلفة كان لها تأثير شديد في نفسه. لدرجة أن "سينتا" كان يحاول قدر ما يستطيع ألا ينظر إلى ابنته. ومع هذا كان صوت ابنته يحدث البهجة في نفسه. ودون أن يشعر كان يشبع لديه شيئًا كان يتوق إليه. لكن إحساسه على هذا النحو بصوت ابنته لم يكن إحساسًا وليدًا لتلك اللحظة. فعندما كانت تتصل به بالهاتف بعد أن تزوجت كان نفس الإحساس يراوده. فإذا ما اتصلت به ابنته وسمع صوتها قال في نفسه "يا إلهي"؛ ويظل يسألها في أمور لا طائل منها ليطيل الحديث.

" لأنني لم أحضر معي سوى عملة واحدة بخمسة سنتات؛ هل يمكنني أن أنهي المكالمة الآن؟ "

" يا لك من فتاة صغيرة الهمة. كان عليك أن تحضري قطعتين أو ثلاث ".

" أهكذا؟ الحق معك. يا أبي ؟ "

وتنتهي المكالمة. فتطفو على صفحات وجه "سينتا" ابتسامة.

وفجأة يتذكر صوت زوجته في شبابها. فيتحول وجهه سريعًا إلى ملامح بها شيء من المرارة. أن يكون صوت ابنته سببًا يتذكر به شباب زوجته؛ ذلك أمر لا يليق



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به. لكن؛ لم يكن هذا كل ما في الأمر. وكانت "ياسكو" تشبه أمها "تسوناكو" كثيرًا. وكان صوتهما كذلك متشابهًا. حتى إن "سيتا" - الذي عاش معهما الاثنتان- يشغل نفسه دائما بإيجاد ما لا تتشابهان فيه. لكنه كلما قال له الآخرون عن هذا التشابه يظهر لهم أنه لا يرى ذلك؛ وكان تكرار مثل هذا الحديث في كل مناسبة أمرًا يؤرقه؛ حتى إنه كان يخجله في بعض الأحيان. وكان "سيتا" مقرًّا تمامًا بذلك التشابه في الصوت.

كانت "تسوناكو" تبدو أصغر من عمرها الحقيقي؛ وبوجه خاص؛ لم يتأثر صوتها مطلقًا حتى بعد تجاوزها الأربعين. ولدرجة تدعو للدهشة. حتى كان من يسمع صوتها من وراء حجاب يظنها أخت "ياسكو".

وكان "سيتا" أحيانًا يستحي من صوت "تسوناكو" الشاب. لذلك لم يكن غريبًا أن يتذكر صوت "تسوناكو" عند سماعه لصوت "ياسكو" عبر الهاتف. لكن عندما كانت "ياسكو" لا زالت ببيته لم يكن هذا ليحدث. وإن كان لا مجال للقطع بأنه لم يكن ليحدث مطلقًا. أو ربما كان يرى ظلال "تسوناكو" تحيط بـ "ياسكو" بصورة دائمة. وإن كان كذلك؛ فهو الخلاف بين أن تكون في زي ترتديه بالمنزل وبين أن تكون في زي ترتديه خارج المنزل عندما تتحدث معه عبر الهاتف.

بعد أن تزوجت "ياسكو" - الابنة الوحيدة له - باتت عينا "سيتا" ترى الفتيات في سن الزواج بصورة مختلفة بعض الشيء. فكان إذا ما رأى فتاة تمشي أمامه في شوارع المدينة ؟!

" انظري ! هذه ! أليست "ياسكو"؟! "

وأسرع الخطى ذات مرة يتعقب الفتاة.

" ليست هي. ليست هي ".

قالت له "تسوناكو" بشكل قاطع.

فاعتدل "سيتا" في مشيته لكن عناده دفعه مرة أخرى ليتعقب الفتاة. ولما لحقت به "تسوناكو" وعلى وجهها الامتعاض .....



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" ما أغربك!؛ أنت تعلم أنها ليست هي ".

" لكنها فتاة رائعة ".

" نعم؛ هذا صحيح".

وقالت له "تسوناكو" دون اكتراث....

" حتى وإن كانت فتاة رائعة هذا لا يعني أنها ستكون زوجة لابننا "أكيو" .... ما الذي أصابك؟! "

" يالقسوة النساء ! "

" أنت الذي لا تقنع بالواقع. إن كنت تشعر بالحسرة إلى ذلك الحد فما كان عليك أن (تتزوجها)؟

" ليست حسرة ولا شيء ".

كانت للأم قدرة على تفهم الواقع والاستسلام له. فعندما تفترق عنها ابنتها تتمنى لها السعادة في بيت زوجها. فيمكن وصفها بالواقعية. أما "سيتا" فلم يكن الأمر واضحًا. فدائمًا ما يعدو خلف خيالات ابنته ولا يدفع عن نفسه تعلقه بها. فكلما مر في شوارع المدينة بفتاة؛ يتبادر إلى ذهنه أن مثل تلك الفتاة الرائعة مصيرها إلى بيت زوجها. ربما تخطف بصره الفتيات الغرباء لأنهن يذكرنه بابنته؛ لكن لم يكن هذا كل ما في الأمر. فقد كانت تملأ رأسه أفكارٌ دنيئة - لا تناسب عمره - بأنه ليس ببعيد من أن يكون حبيبًا لإحداهن. وربما كان ذلك نتيجة لتعلقه بابنته "ياسكو".

لكنه وبعد أن أرسل ابنته إلى بيت زوجها شعر كأنه قد تحرر من شيء ما. وكأن حِملاً قد نزل عن كاهله. وفي ذات الوقت شعر كأنه قد أصبح لا ملاذ له. فأخذ ينظر إلى الفتيات حوله. ويفكر في حب امرأة شابة. يبدو وكأن عبير الشباب قد عاد يتنسم من حوله. وربما كان هذا ما يجعله يتذكر زوجته القديمة حين يسمع صوت ابنته في الهاتف.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تُرى هل هذه أحاسيس معتادة قد يشعر بها أب أرسل ابنته ليبيت زوجها. أم إنها شيء خاص ينفرد به "سينتا" كونه فنانًا.

كان "سينتا" كاتب الدراما؛ قبل أن تتزوج ابنته "ياسكو" يعرض عليها ما كتب من حوار لفتيات شابات؛ ويطلب منها أن تقرأ الحوار عليه. وطالما أعاد كتابة ما تعثرت في قوله من عبارات في الحوار. وأحيانًا كان يسألها عما هو شائع من كلمات وتعبيرات جديدة تستخدمها السيدات الشابات واستخدم ما أخبرته به في أعماله. وبينما كان "سينتا" يسمع ابنته وهي تقرأ الهايكو كان يتذكر تلك الأيام. وشعر بتلك الشخصيات داخل أعماله وكأنها أشخاص واقعية تحيا في مكان ما على وجه الأرض. وهذا أيضًا بفعل صوت ابنته الذي يسمعه بعد طول غياب.

## (٢)

حاول "سينتا" أن يعيد كتابة "الهايكو" مرة أخرى على لوحة ورقية جديدة. بالفعل قد كتب "توارين" لكنه شعر بأنه حتى وإن كتب "اختفين" أو حتى ولو كتبها "ضعن" فلن يغير هذا من الأمر شيئا ليجعل منها شعرًا. فتعبير "زوجاتهم توارين" تعبير جامد أكثر مما ينبغي؛ في حين أن "في نهاية عام" أسلوب دارج. وعند تأمل هذه المقاطع الشعرية بهدوء يجدها مفعمة بمعان من التهكم. كما أن خطوط القلم منقمة في ركاكة؛ كم هي مخجلة. تأفف "سينتا" مؤنبا نفسه أن ما كان له أن يفعل ما ليس معتادًا عليه. فغالب الظن أن هذا "الهايكو" لن يجد من يشتريه.

كان "سينتا" يكتب اللوحات الورقية من أجل الجريدة. فكانت الجريدة اعتادت أن تقيم منفذًا للبيع في أحد المتاجر الكبرى في نهاية كل عام لتبيع فيه لوحات ورقية دونها شخصيات بارزة ولوحات أخرى دُون بها أعمال أدبية قصيرة؛ ثم تتبرع بالأرباح للأعمال الخيرية. حيث توزع على الفقراء "موتشي"(٤٠) وغيره من الأطعمة

(٤٠) من الأطعمة اليابانية التقليدية تصنع من عجين الأرز في شكل قوالب وتأكل بأكثر من طريقة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في أعياد رأس السنة. وكان "سينتا" قد اعتاد لأعوام طويلة أن يتبرع للجريدة باللوحات الورقية التي يدونها.

رفقاء قضوا النحب زوجاتهم توارين في نهاية عام

من ذا الذي يشتري مثل هذا "الهايكو" المشؤوم؟

وبالأساس كان يكفيه أن يكتب لوحة أو اثنتين؛ لكن الجريدة قد أرسلت إليه العديد من اللوحات الفارغة فكانت كتابته "الهايكو" لا تتعدى كونها لهوًا بالقلم. كانت عبارة "رفقاء قضوا النحب" في صيغة الجمع وبالتبعية كان يجب أن تكون "الزوجة" كذلك في صيغة الجمع؛ رغم أن "سينتا" قد كتب هذا "الهايكو" وفي خياله امرأة واحدة يقصدها تحديدًا.

تلك المرأة هي من القراء المعجبين بأعماله واستمرت في شراء ما يكتبه "سينتا" من لوحات ورقية على مدار ما يقرب من عشر سنوات. عندما اشترت لأول مرة لوحة ورقية من أعمال "سينتا" أرسلت له خطابًا؛ وكتبت تعرف فيه نفسها بأنها طالبة؛ فشعر "سينتا" بقليل من الخجل. وكتبت بعبارات تطغى عليها عفة الفتيات أن كم نبض قلبها عندما اشترت اللوحة من المنفذ؛ وحتى بعد عودتها إلى البيت وجلست تتأمل اللوحة كان قلبها ينبض أيضا.

لم يرسل لها "سينتا" ردًا على خطابها.

وفي أواخر العام التالي؛ جاءه خطاب آخر منها بأنها اشترت لوحة أخرى هذا العام. وقالت إن قلقها من أن تُباع اللوحة قبل أن تصل جعلها تذهب مبكرة إلى المتجر وتنتظر أمام أبوابه قبل أن تفتح. وفي هذه المرة رد "سينتا" على خطابها وقال لها ما كان عليها أن تتكلف كل هذا العناء، وإن كانت تريد من لوحاته فيمكنه أن يكتب لها قدر ما تريد. فحفظ اسم تلك المرأة؛ "كيسو تشيوكو".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ربيع العام التالي أخبرته "تشيوكو" بأنها أنهت دراستها بالمدرسة. وفي ذلك العام - أي نهاية العام للمرة الثالثة - أيضًا أرسلت له تخبره بأنها اشترت اللوحة الورقية التي كتبها "سينتا". ورغم أن "تشيوكو" كانت تكتب له في خطاباتها أنها ترغب في أن تذهب لزيارته لم تكن تأتي. لكنها أخيرًا جاءته في صيف ذلك العام وهي ترتدي كيمونو صيفيًا من نسيج القنب وتضع على خصرها نطاقًا عليه نقوش من زهرة الشوك. وكانت فتاة هادئة الجمال تبدو محتشمة بعض الشيء؛ وكان قوامها حقًا ضئيلا.

أحس "سينتا" وكأن أحدًا ما يخدعه؛ فلم يصدق أن تكون مثل هذه الفتاة الصغيرة من المعجبين بأعماله. وظل في ذهول.

" هل تقرئين أعمال رجل مثلي؟! دعك من هذا".

قال لها "سينتا" بفظاظة.

" ولماذا؟ "

" إنها ليست مناسبة .... لفتاة مثلك.... "

" أهكذا ترى! .... لكن أن أقرأ هذه حريتي الشخصية ".

" حرية .....؟ لكن أنا جاد؛ وأحدثك بصدق ".

لكن محاولته الجادة تلك لم تكن سائغة. لأنه بعد أن يخرج العمل للقراء فحرية القراءة تكون لهم. لكن "سينتا" لم يكن لديه قناعة بأن أعماله خرجت لتكون نافعة من أجل الكثيرين من القراء. فلم يكن يفتقد إلى ذلك النوع من الوازع الأخلاقي. وكان ظهور "تشيوكو" أمامه كواحدة من القراء سببًا في أن يفجر ذلك الوازع الذي لم يغب عنه يومًا. كانت أعمال "سينتا" تتسم بالكآبة والوحشية.

" هل تحبين القتل؟ "

قال لها "سينتا" وكأنه يتفل ألفاظه وهو يضحك.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترددت "تشيوكو" ثم نظرت إلى وجه "سينتا" وقالت:

" وهل تحبه أنت يا مُعلم؟ "

أعادت عليه السؤال وهي تبتسم. بدت أهدابها الطويلة وكأنها تتبسم هي الأخرى في لطف. جفنان دائبا الحركة لا يسكنان في وجه مستدير.

كانت أعمال "سينتا" كثيرًا تتناول جرائم القتل. بالطبع لم يكن محبًا للقتل. وكان يبغضه كونه أبشع خطيئة يرتكبها البشر. كان يرسم تلك الخطيئة البشعة؛ ويهدف من وراء ذلك أن يُظهر المضاد لها في النفس الإنسانية التي ترنو إلى أسمى معاني الفضيلة. لذلك لا وجود بأعماله لشخصيات شيطانية.

حتى إنه في المرات النادرة التي كانت تعرض فيها فرق مسرحية أحد أعماله الدرامية كانت شخصياته تُفسر على أنها شخصيات ملائكية. لكن "سينتا" لم يكن يشعر برضى حقيقي لأن يُقدم الممثل - الذي يقوم بدور القاتل - على العمل وفي ذهنه تفسير مسبق للشخصية بأنها شخصية ملائكية. فهو يرى أن الاعتقاد بكون الشخصية ملائكية لكنها ارتكبت جريمة القتل لظروف خارجة عن إرادتها وبدافع متهور في غفلة منها؛ أو في لحظات فقدت فيها السيطرة على استقرارها النفسي؛ أمرًا به الكثير من الاستخفاف بالأقدار.

أليس من السطحية بمكان أن يعتقد الإنسان في نفسه أنه شخصية ملائكية؟ هذا يؤدي بالعمل للانجراف إلى القشور.

"سينتا" وإن نظر للآخرين أحيانًا على أنهم ملائكيون؛ لم يكن يرى نفسه سوى أنها كتلة من الغموض. لكنه لم يستطع أن يُجسد في أعماله شخصية شيطانية. بل يمكن القول إنه لم يكن لديه البأس ليُجسدها.

ولِد "سينتا" وله طبيعة مرهفة للغاية، ولم يتخلص من تلك المشاعر الطفولية حتى بعد أن اقترب من الخمسين من عمره؛ فكان تعامله مع الشخصيات في كتابته بقسوة وتجسيد الرذيلة بها يمثل نوعًا من التحدي لذاته. وإذا ما استسلم إنسان هزيل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البنيان مثل "سيتا" مصدقًا بكل ما هو نبيل من فضائل في هذا العالم ماكان له أن يصعد تلك المرتفعات شديدة الانحدار في عالم الفن.

وكان يعني بتلك القسوة على شخوص أعماله أن تكون في ذات الوقت جلدًا لذاته. وقد واجه نقدًا بأنه كاتب نُزعت منه الرحمة. وكلما تلقى نقدًا من ذلك النوع؛ كان "سيتا" ينظر متأملا - بتلك النظرة الرحيمة التي تكمن في أعماقه - إلى وجهته الفنية إلى المدى البعيد. كذلك؛ تلك الأعمال التي كتبها من قبل مليئة بمشاعر البغض عندما كتبها بفيض من العواطف لم يسلم أيضًا من النقد. "أهكذا الأمر؟!" اعتلت الدهشة وجه "سيتا" وإن لم يخل صدره من مشاعر السعادة؛ لكن بمحاسبة سريعة للذات؛ تألم كثيرًا - أن مشاعر الحب وكذلك مشاعر البغض لديه لم تكن بالقوة التي تُقنع الآخرين - ولم يجد لنفسه عزاء. وبالطبع كانت تلك العاطفة نحو أعماله وشخوصها لازالت بلا شك تملأ صدره في صمت وكأنها مشاعر محب لا يرغب أن يفصح عن حبه؟ لـ الطرف الآخر.

كان "سيتا" يحرص دائمًا على أن تكون شخصيات أعماله بعيدة قدر المستطاع عن أي تشابه يجمعها بذاته من حيث السمات الشخصية أوحتى البيئة المحيطة. أي إنه لم يكتب أبدًا عملاً دراميًا على غرار أدب القصة الذاتية. وبعيدًا عن فكر يقول إن شخوص العمل هي جزء من المؤلف؛ كان يجسد حياة مفعمة بالقوة لرجال ونساء في أعماله وكأنه يصرخ حزنًا من حياته الواهنة. ولذلك - ورغم كآبة الإطار العام للعمل؛ وبما لا يتناسب مع أسلوب حياته الضحل - كانت لأعمال "سيتا" الدرامية ألوان صاخبة أخاذة.

الخط الدرامي في أعماله يتميز بتموجات حادة إلى حد الذهول؛ كذلك كانت أقدار شخوصها واسعة النطاق. وربما كان هذا هو السبب في تعلق بعض من القراء والمشاهدين بأعماله. وكان ما يتطلع إليه "سيتا" أن تُقدم مثل هذه الأعمال - التي تبدو مروعة للوهلة الأولى - بصورة هادئة على المسرح. حتى إنه قد تعمد كتابة غالبية الحوار فيها بتعبيرات يصعب تلفظها بأصوات عالية. لكن على أية حال كانت



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"تشيوكو" يبدو مظهرها لا يتناسب مع أن تكون واحدة من معجبي أعمال "سينتا". إذا فأي نوع من القراء قد يبدو مناسبًا للإعجاب بأعماله؟ هذا سؤال قد يتعثر "سينتا" في إيجاد إجابة له؛ وهو الذي يحمل دائمًا في أعماقه ذلك التناقض برغبته في ألا يقرأ أحد أعماله وبصفة خاصة؛ كان يرى أن "تشيوكو" لا تتناسب مع أعماله. حتى إنه كان يشعر بالخزي وهو يجلس أمامها. فقد شعر وكأن أعماله التي كتبها ليست إلا سكينًا للسم على هذه الفتاة الصغيرة. وعلاوة على ذلك ما كان بمقدوره أن يتكهن إلى أي مدى قد تتشرب هذه الفتاة الرقيقة ذلك السم.

كانت "ياسكو" ابنته في تلك الفترة لاتزال في المدرسة الابتدائية.....

" عندما تصبح ابنتي في سن الزواج ألا تعتقدين أنني ربما لا أستطيع أن أكتب أعمالًا خارجة عن المألوف؟ "

كان أحيانًا يحدث زوجته وعلى وجهه ابتسامة بها مرارة. وكانت "ياسكو" بالفعل في تلك الفترة قد أصبحت تقرأ كل ما يقع في يدها من قصص وغيرها. وكان "سينتا" متحيرًا فيما عساه أن يفعل، هل يتركها لتقرأ أم الأفضل أن يمنعها من ذلك؟! ولم يستطع أن يصل إلى قرار يثق في صوابه. فقد كانت الكتب دائمًا في كل مكان بالبيت وكان منعها منها أمرًا أقرب لأن يكون من المستحيل. فكان يتظاهر بعدم ملاحظته لشغف "ياسكو" بالقراءة. وكان يثير هذا الموضوع عندما يجتمع بأصدقائه من الكتاب فيسأل عما يفعل أبناء أصدقائه؛ ويسألهم عن آرائهم كآباء. كان يتخوف من أن تكون لابنته رغبة في أن تصبح كاتبة. وكأب شغله أن هل سيكون عليه أن يكتب وهو يضع في اعتباره أن ابنته سوف تقرأ أعماله. وانتبه إلى أنه كان أمرًا عجيبًا ألا يشعر بأي من هذا لقراءة زوجته ما يكتب إلى الان. فإذا ما دخل على "ياسكو" وهي تقرأ عملا له كان "سينتا" يخرج متعجلًا من الغرفة على الفور. وكانت "ياسكو" كذلك تحمر وجنتاها من الخجل. تُرى ما يدور في ذهن "ياسكو" الصغيرة عندما اكتشفت أن أباها هو ذلك الكاتب العبوس منزوع الرحمة. سيطر على "سينتا" ذهول في لحظة شعر فيها بذلك الطريق الذي قطعه من حياته وقد أصبح أجوفَ.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأى ما كتبه من دراما مأساوية لا تعدو أن تكون سوى خيال مآتة تقف على مسرح فاتحة ذراعيها وعليها ثياب ممزقة ترفرف أكمامها وهي ترقص. وخيال المآتة هو تجسيد للكاتب. لا يبدو لمن هم في مقاعد المتفرجين سوى رياح إعصارية موحشة تهب.

" أهي مجرد رياح تهب؟ "

تمتم "سينتا" وهو ينفخ في خصلات شعر "ياسكو" ليطير من على جبهتها - وكانت تنام بجواره في فراش واحد - وكأنه يجسد تلك الرياح الإعصارية.

منذ أن ولِد أخوها الصغير "أكيو" كانت "ياسكو" تنام في حضن أبيها. وكانت عادةُ أن تنام بجوار أبيها لا تزال مستمرة. وكان شعر "ياسكو" مسدولا على جبهتها يغطيها وعندما ينفخ أبوها في شعرها يرتفع إلى أعلى ثم يهبط على جبهتها مرة أخرى، ويتكرر ذلك حتى ينفرج من المنتصف فيكشف عن جبهتها.

أنفاس الأب الضعيفة الدافئة التي تنفخ في شعر ابنته؛ ذلك الكاتب البائس كان يرى فيها تلك الريح العاتية التي تهب على حقول حياته القاحلة. فلم يكن عمل "سينتا" المفعم بالطموح سوى مشهد كهذا.

"ياسكو" كانت مستغرقة في سبات عميق.

"سينتا" لم يتوقف عن النفخ في شعرها.

" ما الذي تفعل؟ ألا تتوقف عن ذلك ؟ "

قالت له "تسوناكو" من الفراش المجاور له.

" نعم. هل تظل هذه البنت ترتدي بيجامة عند النوم حتى بعد زواجها؟ "

" ما هذه السطحية ؟! "

" أرى أننا جعلنا لها عادة سيئة بأن أفهمناها أن عدم ارتدائها البيجامة قد يعرضها لكشف صدرها وإصابتها بالبرد".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجد "سينتا" أن ما أنجبه في هذه الدنيا تنبض فيه الحياة ليس فقط إلا الطفلين؛ أما أعماله الدرامية فلا حياة فيها. واستحوذت عليه رغبة لكتابة أعمال تقرؤها ابنته؛ لكن مشاعر من الحزن غالبته. فالأمر حين يتعلق بابنته "ياسكو" فهو يختلف عن فتاة غريبة عنه مثل "تشيوكو". ففي حالة "تشيوكو" لم يشعر بحزن. أما قلقه أن تسمم أعماله فتاة صغيرة فكان يشعر به تجاههما.

وإذا ما استطاع أن يتحدث دون حياء.....

" ما الذي يدعوك للاهتمام بمثل هذه الأعمال التي أكتبها! قد لا تدركين أن وجودك أنت له أهمية تفوقها بمراحل".

كاد "سينتا" أن يتلفظ بما يجيش في خاطره.

و"تشيوكو" كونها إنسانة؛ فلا يوجد ما ينفي أن يكون بداخلها روح شريرة تسكنها. وهذه الروح الشريرة قد تكون هي التي تُخرج لسانها الأحمر وتلعق به أعمال "سينتا". أو ربما لكونها فتاة رقيقة فيجعلها هذا تبتغي ما ليس فيها بأن تُقدم على قراءة الأعمال التي تجسد البغض. فكما يتقمص "سينتا" العنف وهو يكتب؛ قد تكون "تشيوكو" هي الأخرى تحب قراءة دراما ليست مناسبة لطباعها.

كان نسيج القنب لرداء "تشيوكو" مفرودًا بعناية حتى إن أكمامه بدت بارزة قليلًا. وكان "سينتا" يشعر بحرارة الجو وهو يتعرق؛ أما هي فلم تذرف قطرة عرق. وكأنها برعم زهرة؛ وكأنها من المشغولات اليدوية المصنوعة بعناية؛ كانت شفتاها خاطفة للأبصار. لا ريب أنها واحدة من ملامح وجهها؛ لكن تلك الشفاه كان لها مظهر متميز. تبدو لمن يراها تمامًا كأنه رأى أول برعم يتفتح في شجرة مزهرة. وكانت فتاة ضئيلة الحجم أقرب لأن تكون مستديرة يمكن احتوائها في الذراع.

" ما هذا؟ هل تخرجت هذه في مدرسة البنات؟ "

قالت "تسوناكو" متعجبة، وهي تنظر إلى "تشيوكو" من ظهرها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إن نطاقها محتشم للغاية ".

" مثلها إن ارتدت ملابس زاهية تناسب فتاة شابة سوف تبدو عجيبة وكأنها دمية ".

" قد يكون الحق معك ".

وبعد أن ترددت "تشيوكو" مرتين أو ثلاث على منزل "سينتا" أحبتها "تسوناكو" ووجدتها فتاة لطيفة. وكان "سينتا" في بعض الأوقات دون أن يدري يسرح متأملاً في شفتي "تشيوكو".

في نهاية العام الرابع أيضًا اشترت "تشيوكو" لوحة ورقية كتبها "سينتا". واشترت كذلك في العام الخامس. أشفق "سينتا" عليها؛ وعندما قال لها إنها أصبحت من المعارف المترددين على بيته، وإنه سوف يكتب لها لوحات قدر ما تشاء إن أرادت؛ أجابته "تشيوكو" قائلة:

" لكنني سوف أشعر بالوحشة إن لم أشترها. فأنا أشعر وكأن لوحاتك الورقية في المنفذ تنتظرني كل عام لأن أشتريها ".

كان لكلماتها وقع حنون على مسامع "سينتا". وبعد أن اشترت اللوحة الخامسة بأيام قليلة جاءت إليه "تشيوكو" تصطحبها أمها. تقول إنها سوف تتزوج. كان "سينتا" كأن أحدًا ما عرقل قدميه في غفلة منه. وإن كان زواج فتاة في سن الزواج أمرًا ليس به أدنى غرابة إلا أنه أمر لم يكن يخطر ببال "سينتا". ومشاعر الوحشة التي انتابته عند سماع الخبر كذلك أمرٌ لم يكن يخطر له ببال. وبينما كانت أمها تتحدث بأن "تشيوكو" خجلت أن تقول الخبر بنفسها فألحت عليها لتأتي معها، وأن الأم كذلك أرادت أن تشكر العائلة التي اهتمت بابنتها لفترة طويلة؛ كانت "تشيوكو" مطأطئة رأسها وتبدو الابتسامة حتى على أهدابها، وقد احمرت وجنتاها قليلا. لكنها لم تكن تشعر بالخجل. كانت تبدو عليها السعادة.

" إذًا فلن أحظى بشرائك للوحاتي بعد الآن ".



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال لها "سينتا".

" لماذا؟ لِمَ تعتقد ذلك؟ "

رفعت "تشيوكو" رأسها ونظرت إلى "سينتا".

" سوف أشتري بالطبع ".

" لا؛ لا تشتريها بعد الآن. وفي المقابل سأكتب لك واحدة بمناسبة الوداع".

وكتب هذه أيضًا على واحدة من الأوراق الصينية التي أرسلتها له الجريدة:

سل عن الطريــق في الصباح ▲ ولن تندم وإن مت في المساء[41]

هكذا كتب لها "سينتا".

" إنها من محاورات كونفوشيوس"

أومأت "تشيوكو" برأسها

" هذه مما درسته من الكلاسيكيات الصينية بمدرسة البنات ".

ولأنه لم يسبق له أن كتب بخطوط عريضة قبل الآن كانت خطوطه تبدو أكثر فقرًا.

لم يكن قد عاش حياة تجعله قادرًا على الكتابة بحروف عريضة وبخطوط تنم عن بأس.

ظل "سينتا" صامتًا لوهلة ثم قال لها متلجلجًا....

" في هذه؛ اقرئيها وكأنها "حب زوجك" بدلا من عبارة " سل عن الطريق". لأنني لا يمكنني بالطبع أن أكتبها "حب زوجك"..... "

" نعم. "

---

(٤١) حكمة تعني أهمية طلب الحقيقة والمعرفة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدت "تشيوكو" شاردة.

" ما أجملها؛ هل كذلك تعني؟ "

قالت الأم متفاعلة مع حديثه.

لكن في الواقع لم يكن ما كتبه "سينتا" سوى تعبير عن مشاعر من ندم ولدت بداخله. كان نادمًا لأنه لم يستطع أن يجعل من علاقته مع "تشيوكو" أن تكون حبًا لـ "تشيوكو" ذات صباح بدرجة لا يندم معها وإن مات في المساء. فهي تعبر عن غفوته إلى أن فاجأه سماع خبر زواج "تيشوكو".

كانت حياة "سينتا" سلسلة متواصلة لمثل هذه الموجات من الندم؛ وتراكماته. هذا الندم الذي جعل من عالم "سينتا" الباطني؛ وكأنه حقل تجمد من البرودة القارصة بعد أن تساقط الجليد به وتراكم؛ أو غابة قد فسدت بعد أن تساقطت بها أوراق الشجر متراكمة. وبينما كان يتمنى أن يحب من ساقته إليه الأقدار بكل ما أوتي من حب؛ وأن يحيا اليوم الذي يعيشه بكل ما أوتي من طاقة؛ وألا مجالاً للندم؛ ترك "سينتا" الوقت يتسرب من بين يديه هباءً. ما تعنيه هذه المقولة من "محاورات كونفوشيوس" كان حقًا ما يشعر به "سينتا". وقد تولدت لديه نتاج خبرات سنوات طوال وما بها من ندم.

" عندما تقابلين أحدًا فعليك أن تحسني له قدر استطاعتك؛ فلا تدرين متى الفراق؛ ولا تدرين قد لا تقابلينه مرة أخرى".

قال "سينتا" محدثًا زوجته. وإن كان ما قاله ليس سوى أمر بديهي إلا أن كلماته كانت تحمل في طياتها رثاءً لأيام مضت. كما ينم عن أن القيام بمثل هذا الأمر البديهي لم يكن بالشيء الهين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كان حبه إلى "تشيوكو" ليس بالأمر الهين؛ لكن هذا سلطان القلب. وتلك الأيام التي أمضاها في صحبة "تشيوكو" - دون التزام بذكر -؛ لم يعشها "سيتا" كما ينبغي أن تكون.

" رغم أنها مقدمة على الزواج فإن كلمة "مت" ربما تدعو للتشاؤم؛ لكن هي إشارة إلى الإصرار. أن تحيا بكل طاقتها أن تحب من كل قلبها؛ ألا تدع مجالًا للندم... "

هكذا قال "سيتا". فلم يكن بوسعه الآن إلا أن يتمنى لـ "تشيوكو" أن تحب زوجها. وبهذا تكون "تشيوكو" قد تعلمت من "سيتا" كيف يكون الحب قبل أن نرحل عنه. رحلت بعد أن عزز لديها ذلك "الحب" الذي لا يضن بمشاعره على الطرف الآخر.

في نهاية العام السادس تردد "سيتا" كثيرًا في أن يكتب اللوحة الورقية. فكان يشعر بوحشة لا مثيل لها بعد أن فقد "تشيوكو" التي تشتري لوحاته. لكن؛ وكالعادة اشترت "تشيوكو" اللوحة. وفي العام السابع كذلك اشترتها.

وفي العام التالي مات زوج "تشيوكو" في الحرب. وكان لديها طفل منه. وبعد فترة توقفت "تشيوكو" عن الكتابة إلى "سيتا". وانقطعت أخبارها. ولم يكن "سيتا" يدري إن كانت "تشيوكو" سوف تظل تشتري لوحاته في نهاية العام أم لن تفعل. لكنه ظل يجتر ذكرياتها عندما يشرع في كتابة لوحته؛ ولم يكن هذا بالأمر الغريب.

رفقاء قضوا النحب زوجاتهم توارين في نهاية عام.

هذه اللوحة إذا أرسلها للجريدة ورأتها "تشيوكو" في منفذ البيع؛ تُرى كيف سيكون وقعها عليها؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يكن زوجها من المقربين إلى "سيتتا" حتى بعده من "الرفقاء". حتى إنه لم يزر بيت "سيتتا" سوى مرتين أو ثلاث بمصاحبة "تشيوكو". لكن ذكريات "تشيوكو" كانت سببًا لأن يتذكر الكثير من "زوجات رفقاء" له.

Telegram:@mbooks90

تُرى أين هن الآن؟؛ هناك القليل من "زوجات الرفقاء" اللاتي يعرفن حتى إلى أين ذهبن.

ذكريات لحياة لايُدرك مداها كانت تفيض في صدر "سيتتا".

***



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## المؤلف في سطور:
## ياسوناري كاواباتا

روائي ياباني مبدع ولد عام ١٨٩٩ وتوفي عام ١٩٧٢. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٨ كأول أديب ياباني يحصل على هذه الجائزة العالمية. يتميز أسلوبه بالرقة والجمال والرشاقة، حيث يبدو للقارئ وكأنه من أبيات الشعر العذب الرقيق. فهو أحد مؤسسي مدرسة "Shin-kankaku-ha" أو "المدرسة الحسية الجديدة"، وهي مدرسة أدبية نشأت في منتصف العشرينيات من القرن الماضي ؛ وقد أطلق عليها هذا الاسم أحد النقاد باليابان عندما لاحظ الحس اللغوي الجديد بأعمال الأدباء من رواد هذه المدرسة.

وتجمع أعمال "كاواباتا" بين التأملات النفسية العميقة والوصف الساحر للطبيعة اليابانية. وله العديد من الأعمال المترجمة إلى العربية عن لغات أوربية وسيطة مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرهما. ومن أشهر تلك الأعمال "راقصة إيزو"؛ "بلد الثلج" "منزل الجميلات النائمات" وأعمال أخرى. وتعد هذه المجموعة القصصية "مُحبون" هي العمل الأول الذي يُترجم إلى العربية عن اليابانية مباشرة.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## المترجم في سطور:
## وليد فاروق إبراهيم

أستاذ اللغة اليابانية الحديثة والترجمة بكلية الآداب جامعة القاهرة. تخرج في قسم اللغة اليابانية وآدابها عام ١٩٩٠. سافر إلى اليابان عام ١٩٩٤ بعد حصوله على منحة من الحكومة اليابانية لاستكمال الدراسة بمرحلة الدراسات العليا، وحصل على الماجستير عام ١٩٩٧ والدكتوراه ٢٠٠١ في اللغة اليابانية وآدابها من جامعة "جاكوشوإين" بطوكيو.

من أهم مؤلفاته "تصنيف مفردات العربية" الذي صدر في طوكيو عام ٢٠٠٣ و"نحو اليابانية لناطقي العربية" الصادر في القاهرة عام ٢٠٠٦. ومن أعماله المترجمة التي قدمها "حلاق الشرق" عام ٢٠٠٥ و"لو كنت مع أبي" عام ٢٠٠٧ للكاتب الياباني الشهير "إينوأويه هياشي" وكذلك سلسلة القصص القصيرة لأعلام الأدب الياباني، والتي صدر منها الجزء الأول بعنوان "آباء" عام ٢٠١٣ والجزء الثاني بعنوان "أمهات" في عام ٢٠١٥.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم الرفع بواسطة:ميراي
Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Telegram:@mbooks90

"محبون" هي تسع قصص قصيرة كتبها "كاواباتا" في مرحلة نضجه الأدبي، ورسم فيها مشاعر الحب الإنساني في تنوع ثري للأشكال المختلفة من الحب. وتتميز كثائر أعمال "كاواباتا" بوصف بالغ الدقة للطبيعة اليابانية المحيطة بالأحداث حتى تبدو للقارئ واضحة جلية. وجسد فيها عمق العاطفة الإنسانية وسبح في أغوار النفس البشرية في وصف رشيق بلغة شعرية مرهفة لشخصيات الأعمال ليس فقط من المظهر الخارجي ولكن كذلك لأدق ما يجيش في أعماقها من أحاسيس ومشاعر وجدانية بالغة الرقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner